اللاعنف في الإسلام



الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

(قدس سره الشريف)

دار العلوم
للتحقيق والطباعة
والنشر والتوزيع
بيروت-لبنان

اللّاعنف في الإسلام

الطبعة الأولى

(١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)

من مراكز التوزيع:

سوريا ـ دمشق ـ السيدة زينب عليها السلام مكتبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

هاتف: ٦٤٧١١٦ مقسم ١٠٩

إيران ـ قم ـ مؤسسة برهيزكار للطباعة والنشر ـ شارع صفائية ـ فرع ممتاز

تلفاكس: ٧٧٤٦١٨٢ ـ ٢٥١ ـ ٠٠٩٨

دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة : حارة حريك ـ بئر العبد ـ شارع السيد عباس الموسوي ـ الهاتف : ٠١/٥٤٥١٨٢ ـ ٠٣/٤٧٣٩١٩ ـ ص.ب : ١٣/٦٠٨٠

المستودع: حارة حريك ـ بئر العبد ـ مقابل البنك اللبناني الفرنسي ـ تلفاكس : ٠١/٥٤١٦٥٠

البريد الإلكتروني : d-aloloum@ayna.com

اللاّعنف في الإسلام

المرجع الديني الأعلى

آية الله العظمى

الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي

(قدس سرّه الشريف)

دار العلوم
للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ
ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ
وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ
يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ صدق الله العلي العظيم

(سورة آل عمران: ١٥٩)

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادي للرشاد، والموفق للسداد، والصلاة والسلام على أمين وحيه، وخاتم رسله، وبشير رحمته محمّد وآله الهداة الميامين.

بين يدي القارىء الكريم كتاب «اللّاعنف في الإسلام» لمؤلفه خالد الذكر آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي «قدس سرّه» الذي يعاد طبعه للمرة الثانية. فهو إطلالة توضيحية مفصلة لمفهوم اللّاعنف المرادف للسلام والرحمة ومعالجة الأمور بالحكمة والموعظة الحسنة، والكتاب في فصول يتبيّن فيها ما جاء في هذا الباب الحيوي من حياة الإنسان في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ومن خلال سيرة الرسول الأعظم ﷺ ومعطيات الأئمة الأطهار عليهم السلام في الحثّ على معالجة أقسى الأوضاع حراجةً وأشدّها وقعاً في حياة المسلمين باللين وعدم استخذام العنف، والتوصية بالحوار الهادىء والبنّاء مع الآخرين للتواصل السلمي والآمن حتى مع اللذين أضمروا العداء للدين الإسلامي ولرموزه الخالدة.

وقد اعتمد المؤلف (رضوان الله عليه) في عرض الفكرة أو إيصال الخبر أو ذكر الحديث الأسلوب القصصي المشوّق والقريب إلى الأذهان، مع الأخذ بالاعتبار اعتماده على المصادر الموثوقة والمعتبرة والإطناب في ذكر الآيات القرآنية الشريفة وكذلك أحاديث الرسول

الأعظم من خلال سيرته المباركة ووصايا الأئمة الأطهار في سياق حياتهم وسيرتهم العطرة، والوقوف عند المشاكل والمعضلات التي واكبت حياة الإسلام والمسلمين مع عدم الإهمال في إيجاد الحلول المناسبة لتلك المشاكل. وكما يقول المؤلف (قدس سرّه الشريف) فإنّ البشر اليوم هم نفس البشر والزمن الراهن هو نفس الزمن بالنسبة إلى تطبيق القوانين وحاجة المجتمع إلى المفردات التثقيفية والتعليمية من أجل إنهاض المسلمين لما هو خير لهم، وهداية غيرهم للسلوك في مضمار الحياة وتجاوز العقبات بالطرق السلمية البعيدة عن العنف.

ولعلّنا في هذا الظرف بالذات، حيث تتعالى الأصوات من هنا وهناك لنبذ العتف وإحلال الأساليب الحضارية بدله لمعالجة الأمور، إلاّ أننا لا نجد من يتصدّى لوضع الحلول الناجعة لمثل هذا الطرح وذلك لخلو تلك الدعوات من الاستراتيجية الواعدة في سبيل تحقيق هذا الهدف والذي تتوق الشعوب والأفراد إلى تحقيقه. حيث نجد أنّ جميع الدعوات المطروحة لا يمكن لها أن تتبنى استراتيجية واضحة الطرح وناجحة النتائج كالتي يتبناها الدين الإسلامي الحنيف من خلال نظرته الثابتة والمبدئية كما جاءت في القرآن والسنّة النبوية وطروحات أهل البيت عليهم السلام لكونها فاقدة في الأساس لمقومات هذا الطرح والذي نجده جلي الوضوح في معالم الطرح الإسلامي.

فمثال قول: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ وقول: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ وقول: (إذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه) نجد أنّ آية هذا الطرح ودلائله ظاهرة في معالم سيرة الرموز الإسلامية الخالدة، مع انّ التوصية بصلة الرحم وصدقة السرّ وصنائع المعروف ورأفة الكبير بالصغير وباقي العناوين التي تدعو إلى مكارم الأخلاق وحسن السيرة كلها تصب في معين اللاّعنف والدعوة إلى نبذ

الخلاف للرقي بمستوى الإنسان إلى المنزلة الكريمة التي أرادها الله سبحانه له، مع عدم إهمال الإشارة إلى ما سنّه الشارع المقدس من القصاص ووضع الحدود بتوفر شروطها وما شابه ذلك... فإنها لا يمكن اعتبارها مأخذاً من المآخذ حيال الدين، بل هو في صلب موضوع العلاجات في ترشيد وتقويم الاعوجاج الحاصل لمصلحة الفرد نفسه وتثبيت القواعد المرتبطة في بناء المجتمع والصالح العام، وهي بالتالي فإنها لا تستخدم إلّا في الضرورة، وكما ورد في الحديث (آخر العلاج الكي).

ومن نظرتنا لأهمية ترسيخ مبدأ اللّاعنف شرع **دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع** إلى طبع هذا الكتاب المهم والجدير بالقراءة حتى لغير المسلمين ممّن يتوقون للنهوض بالإنسانية القابعة في متاهات الحروب والنزاعات إلى جادة الطمأنينة والسلام.

الناشر
بيروت ـ لبنان
٨/ صفر/ ١٤٢٣هـ

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

أمّا بعد: فـ (اللّاعنف) سمة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام والعقلاء الذين يقدّمون الأهمّ على المهم في شتّى حيثيات حياتهم.

وفي التاريخ: انّ من أبرز صفات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله انّه كان لاعنفاً إلى أبعد حدّ[1]، وقد دعا القرآن الكريم المسلمين قاطبة أن يدخلوا تحت ظلّ هذا القانون، فقال عزّ من قائل: ﴿ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾[2]، ولا يخفى أنّ السلم أقوى وأكثر دلالة من اللاعنف.

وبالتأكيد، فإنّ كلّ من يلتزم بقانون السلم واللاعنف لا مندوحة له إلاّ وينتصر في الحياة، وإن استلزمت الظروف أن يحفظ نفسه ومبادءه عبر التكتّم والتخفّي أحياناً، كما اختفى الإمام الحجّة (عجّل الله فرجه الشريف)، أو أن يرفعه الله إلى السماء كما فعل بعيسى بن مريم عليه السلام

(١) سيأتي في فصل (اللاّعنف في الحديث) وصف أبي سعيد الخدري لرسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال عنه صلى الله عليه وآله: «شديداً من غير عنف».

(٢) سورة البقرة: ٢٠٨.

فانّه لو بقي لقتلوه وأحرقوا جثّته، ولكن الله تعالى حال دون ذلك فرفعه إليه، وقد أخبر القرآن الكريم عن نيّتهم هذه فقال: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ ٱللَّهِ﴾[1]، أو أن تُحفظ نفسه عبر الإعجاز وغيره كما حفظ موسى عليه السلام نفسه عن فرعون بالليل والعصا، أو بالدفاع عن النفس كما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنّ حروبه صلى الله عليه وآله كانت دفاعية وبأقلّ قدر ممكن، ومن هنا فإنّ عدد القتلى من الطرفين وفي عشرات الحروب لم يتجاوز الألف أو أكثر بقليل، مع إنّه صلى الله عليه وآله أقام حكماً وكوّن أُمّة وبيّن شرائع وتقدّم ذلك التقدّم الهائل الذي لم يشهد العالم مثله حتّى عصرنا الراهن.

والجدير بالذكر إنّ من منهجية الرسول صلى الله عليه وآله في اللاعنف تعلّم منها الكثير من شخصيات التاريخ، غرار (غاندي) و (مندلّا) وغيرهما.

ومن جانب آخر فقد جنح الأئمّة الأطهار عليهم السلام إلى السلم واللاعنف في جميع أحوالهم إلى أن آلت النوبة إلى الإمام المهدي (عجّل الله فرجه الشريف) فغاب عن الظالمين، وأمّا البقية منهم عليهم السلام فقد بقوا حتّى قتلوا إمّا بالسيف قسراً أو بالسمّ.

ولقائل أن يقول هنا: ماذا تقولون في حربي أمير المؤمنين علي عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام؟

فالجواب: إنّهما عليهما السلام حاربا دفاعاً وبقدر ضئيل، وقد حاربا بعد أن فشلت كلّ المحاولات وسدّت جميع الأبواب من أجل حلّ المشاكل سلميّاً.

وهكذا كان الأمر بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام حيث فرضوا عليه الحرب وقتلوه مظلوماً عندما لم يرض بمبايعة الظالمين، كما

---

(١) سورة البقرة: ٩١.

قال عليه السلام: «ألا ترون الحق لا يُعمل به، والباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله، وإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برماً»[1].

ولا شكّ أنّ الإسلام لم يقم بالسيف كما هرّج له الذين داسوا على ضمائرهم، ولعلّ خير شاهد على ذلك ما أقرّه عقلاؤهم أنفسهم كما تجده في كتبهم، ومنها: (الدعوة إلى الإسلام) وغيره، كما ذكرناه في كتاب: (كيف انتشر الإسلام).

وفي الختام يبقى القول بأنّ البشر اليوم هم نفس البشر، وزماننا الراهن هو نفس الزمان بالنسبة إلى ضرورة تطبيق القوانين الإسلامية، فإذا أردنا إنهاض المسلمين وهداية غيرهم احتجنا إلى نفس منهج اللاعنف الذي ورد في بعض الروايات نصّاً، تارةً وأُخرى بلفظ السلم والرفق واللين ونحوها في جملة من الروايات الأُخر، ناهيك عن ذكره في الآيات القرآنية الكريمة كالآية المتقدّمة، والله الموفق المستعان.

قم المقدسة

ذي الحجّة / ١٤٢٠هـ.ق

محمد الشيرازي

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤ ص١٩٢ ب٢٦ ح٤.

فصل

اللاعنف في القرآن

القرآن واللاعنف

إنّ الإسلام الذي جاء به رسول الإنسانية ﷺ وقدّمه ذلك التقدّم الملحوظ حمل بين طيّاته عدّة قوانين مهمّة عملت على نشره في شتّى أرجاء العالم الأكبر.

فمن أشهر هذه القوانين المهمّة التي كان لها دور طائل في تقدّم المسلمين ونجاحهم في مختلف الميادين هو قانون: اللين واللّاعنف الذي أكّدت عليه الآيات المباركة فضلاً عن الأحاديث الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام.

ففي القرآن هناك أكثر من آية تدعو إلى اللين والسلم ونبذ العنف والبطش، ونحن نشير إليها باختصار:

آيات العفو

لا يخفى أنّ الآيات الداعية إلى العفو وعدم ردّ الإساءة بمثلها هي في نفس الوقت تدعو إلى اللّاعنف، فليس العفو إلاّ ضرب من ضروب اللّاعنف أو مصداق من مصاديقه البارزة.

قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٧.

وقال سبحانه: ﴿إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[2].

وقال تعالى مخاطباً رسوله الأكرم بأن يعفو عن المسلمين: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[5].

وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[6].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾[7].

وقال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[8].

آيات السلم

وهناك مصداق آخر للاّعنف الذي يؤكّد عليه الإسلام العزيز وهو السلم والسلام، حيث انّ الإسلام هو دين السلم وشعاره السلام..

فبعد أن كان الجاهليون مولعين في الحروب وسفك الدماء جاء

---

(١) سورة النساء: ١٤٩.
(٢) سورة النور: ٢٢.
(٣) سورة آل عمران: ١٥٩.
(٤) سورة المائدة: ١٣.
(٥) سورة البقرة: ١٠٩.
(٦) سورة البقرة: ١٧٨.
(٧) سورة البقرة: ٢١٩.
(٨) سورة الأعراف: ١٩٩.

الإسلام وأخذ يدعوهم إلى السلم والوئام ونبذ الحروب والمشاحنات التي لا ينجم عنها سوى الدمار والفساد..

على هذا الأثر فإنّ آيات الذكر جاءت لتؤكّد على مسألة السلم والسلام، فقد قال عزّ من قائل مخاطباً عباده المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾[1].

وقد دُعي الرسول الأعظم ﷺ إلى الجنح للسلم إذا جنح إليه المشركون، فقال عزّ من قائل: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[2].

وقال تعالى داعياً عباده المؤمنين إلى اعتزال القتال إثر جنوح المشركين إلى السلم: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾[3].

وقال عز وجل في صفات المؤمنين: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[4].

وقال الله تعالى مخاطباً رسوله الأكرم ﷺ: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[5].

وقد قال شيخ المفسّرين الطبرسي في تفسير هذه الآية: «وقيل: لا تستوي الخصلة الحسنة والسيّئة، فلا يستوي الصبر والغضب، والحلم والجهل، والمداراة والغلظة، والعفو والإساءة».

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٨.
(٢) سورة الأنفال: ٦١.
(٣) سورة النساء: ٩٠.
(٤) سورة الفرقان: ٦٣.
(٥) سورة فصّلت: ٣٤.

ثمّ بيّن سبحانه ما يلزم على الداعي من الرفق بالمدعوّ، فقال: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ خاطب النبي ﷺ فقال إدفع بحقّك باطلهم، وبحلمك جهلهم، وبعفوك إساءتهم، ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾، معناه: فإنّك إذا دفعت خصومك بلين ورفق ومداراة، صار عدوّك الذي يعاديك في الدين، بصورة وليّك القريب، فكأنّه وليّك في الدين، وحميمك في النسب»[1].

وقد كان رسول الله ﷺ كراراً ومراراً يدعو أصحابه إلى الدفع بالتي هي أحسن، والإحسان إلى المسيئين، فقد وفد العلاء بن الحضرمي عليه ﷺ فقال: يا رسول الله ﷺ، إنّ لي أهل بيت أحسن إليهم فيسيؤون، وأصلهم فيقطعون، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[2].

فقال العلاء بن الحضرمي: إنّي قد قلت شعراً، هو أحسن من هذا!.

قال: «ما قلت»؟

فأنشده:

وحيِّ ذوي الأضغان تسبّ قلوبهم ... تحيّتك العظمى فقد يرفع النغل

فإن أظهروا خيراً فجاز بمثله ... وإن خنسوا عنك الحديث فلا تسل

فإنّ الذي يؤذيك منه سماعه ... وإنّ الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي ﷺ: «إنّ من الشعر لحِكَماً، وإنّ من البيان لسحراً، وإنّ شعرك لحسن، وإنّ كتاب الله أحسن»[3].

---

(١) مجمع البيان: ج٩ ص٢٣.
(٢) سورة فصّلت: ٣٤ ـ ٣٥.
(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص٦١٩ المجلس ٩٠ ح٦.

آيات الصفح

إلى جانب كلّ ما ذكر من الآيات المؤكّدة على نبذ العنف والبطش، فإنّ هناك آيات أُخرى صريحة تحثّ المسلمين على الصفح وغضّ النظر عن إساءة الآخرين.

فمن هذه الآيات الداعية إلى الصفح الجميل هو قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(١).

وقال سبحانه: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٣).

وقال عز وجل مخاطباً الرسول الأكرم ﷺ: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾(٤).

وقال سبحانه: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾(٥).

وقال عز وجل: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(٦).

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج١ ص٧٥٧ ح٢٣٦.
(٢) تفسير نور الثقلين: ج١ ص٧٥٧ ح ٢٣٨.
(٣) سورة الأنعام: ١٠٨.
(٤) تفسير القمي: ج١ ص٢١٣.
(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص٣٠٣ ب٢٨ ح٦٣.
(٦) سورة التغابن: ١٤.

هذا بالإضافة إلى الآيات التي تدل على الغفران والغض عن السيئة والمحبة والإحسان وما أشبه[1].

القرآن .. واحترام عقائد الآخرين

بالإضافة إلى الآيات الشريفة المنادية إلى العفو والصفح الجميل والجنوح إلى السلم والسلام، هناك آيات أُخر تدعو إلى احترام عقائد الآخرين حتّى ولو كانت فاسدة وغير صحيحة، وهذا إنّما يدلّ على حرص الإسلام على السماحة واللاعنف في سلوك المسلمين حتّى مقابل أصحاب العقائد الضالّة التي لا قداسة لها في نظر الإسلام، نعم من واجب المسلمين السعي لهدايتهم بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[2].

وفي سورة الكافرين يقول تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[3].

---

(١) ومن الآيات القرآنية الدالّة على الغفران والغض عن السيئة والمحبة والإحسان:

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ (نوح: ١٠).

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (آل عمران: ٣١).

﴿وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الأنفال: ٢٩).

﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ (الرعد: ٢٢).

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ (العنكبوت: ٧).

﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ﴾ (الأحقاف: ١٦).

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٨).

﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ (التوبة: ١٠٨).

﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص: ٧٧).

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ (الإسراء: ٧).

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: ٢٦).

(٢) سورة النحل: ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٣) سورة الكافرون: ٦.

وفي آية أُخرى يدعو القرآن الكريم المؤمنين إلى عدم إيذاء الكافرين وإثارتهم عبر سبّ آلهتهم فقال سبحانه: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[1].

وقد جاء في الأحاديث الشريفة توضيح ذلك حيث قال أبو جعفر عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة:

«في التوراة مكتوب فيما ناجى الله جلّ وعزّ به موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى اكتم مكتوم سرّي في سريرتك وأظهر في علانيّتك المداراة عنّي بعدوّي وعدوّك من خلقي، ولا تستسب لي عندهم بإظهار مكتوم سرّي فتشرك عدوّك وعدوّي في سبّي»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل يقول عليه السلام: «وإيّاكم وسبّ أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبّوا الله عدواً بغير علم»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام أيضاً قال: سئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله: الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء، فقال: «كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبّ الكفّار إله المؤمنين فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون، فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[4]»[5].

وعن الإمام الرضا عليه السلام في حديث طويل قال عليه السلام في آخره: «إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة:

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٨.
(٢) سورة النور: ٢٢.
(٣) سورة المائدة: ١٣.
(٤) سورة الحجر: ٨٥.
(٥) سورة الزخرف: ٨٩.

أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا فإذا سمع الناس الغلو كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم سبّونا بأسمائنا، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾»[1].

فضلاً عن ذلك كلّه، فإنّ الله تعالى في أكثر من آية من آيات القرآن الحكيم أورد نفس حديث الكافرين والملحدين وجعله بين طيّات الآيات الأُخر وأمر المسلمين أن يتطهّروا إذا أرادوا مسّه حيث إنه أصبح من القرآن الكريم وهذا يؤيد احترام الإسلام للآخرين وعدم اعتباره للعنف حتّى مع مخالفيه ومناوئيه.

---

(١) سورة البقرة: ١٠٩.

فصل

اللاعنف في الحديث الشريف

الأحاديث الشريفة واللاعنف

كما أشاد القرآن الحكيم بأهميّة اللّاعنف ومدى تأثيره في نشر الإسلام العزيز، كذلك رسول الله ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام، فهم أخذوا يحثّون الناس باستمرار على العفو واللين وعدم ردّ الاساءة بمثلها.

فالرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من خلال أحاديثهم الشريفة الداعية إلى نبذ العنف وترك ردّ الاساءة للغير ربّوا المسلمين على السماحة واللين، الأمر الذي أخذ بأيديهم نحو التقدّم والرقي بعد أن كانوا أذلّة خاسئين يخافون أن يتخطفّهم الناس من حولهم.

أخبار اللاّعنف

إنّ الذي يتتبّع الأحاديث الشريفة الواردة عن رسول الله ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام يجد أنّهم عليهم السلام كانوا يؤكّدون على اللّاعنف عبر أحاديثهم الشريفة وسيرتهم الطاهرة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قام رجل يقال له همام وكان عابداً ناسكاً مجتهداً إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب، فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا صفة المؤمن كأنّنا ننظر إليه.

فقال عليه السلام: «... سّهل الخليقة، لين العريكة، رصين الوفا،

قليل الأذى، لا متأفّك ولا متهتّك، إن ضحك لم يخرق، وإن غضب لم ينزق، ضحكه تبسّم، واستفهامه تعلّم، ومراجعته تفهّم ، كثير علمه، عظيم حلمه، كثير الرحمة، لا ينجل ولا يعجل، ولا يضجر ولا يبطر، ولا يحيف في حكمه، ولا يجور في علمه، نفسه أصلب من الصلد، ومكادحته أحلى من الشهد، لا جشع ولا هلع، ولا عنف ولا صلف، ولا متكلّف ولا متعمّق، جميل المنازعة، كريم المراجعة، عدل إن غضب، رفيق إن طلب، لا يتهوّر ولا يتهتّك ولا يتجبّر، خالص الودّ، وثيق المعهد، وفيّ شفيق، وصول حليم حمول، قليل الفضول، راض عن الله عز وجل، مخالف لهواه، لا يغلظ على من دونه»(١).

وقد وصف أبو سعيد الخدري رسول الله ﷺ فقال: «هيّن المقولة، ليّن الخلقة، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بسّاماً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، شديداً من غير عنف»(٢).

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إنّ الله رفيق يحبّ الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»(٣).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في جوابه على رسالة وجّهها إليه عبد الله النجاشي يستنصحه ويستشيره فيما بُلي به من ولاية الأهواز بما يقرّبه إلى الله عزّ وجلّ ورسوله ﷺ فكتب إليه الإمام عليه السلام جواباً مفصلاً . ومما جاء فيه: «واعلم أنّي سأُشير عليك برأي إن أنت عملت به تخلّصت ممّا أنت متخوّفه، واعلم أنّ خلاصك ونجاتك من حقن

---

(١) الكافي: ج٢ ص٢٢٧ ـ ٢٢٨ باب المؤمن وعلاماته وصفاته ح١.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٠٨.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٦٩ ب٢٧ ح٢٠٤٧٨.

الدماء، وكفّ الأذى من أولياء الله، والرفق بالرعية، والتأنّي، وحسن المعاشرة، مع لين في غير ضعف، وشدّة في غير عنف»[1].

ومن وصية لأمير المؤمنين عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات قائلا له: «فان قال قائل فلا تراجعه، وإن أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو ترعده أو تعسفه أو ترهقه، فخذ ما آتاك من ذهب أو فضّة، فإن كانت له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلاّ بإذنه، فإنّ أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخلها دخول متسلّط عليه، ولا عنيف به، ولا تنفّرنّ بهيمة ولا تفزعنّها، ولا تسوءنّ صاحبها فيها»[2].

ومن عهد الإمام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر لمّا ولاّه على مصر قائلا: «فولّ من جنودك أنصحهم في نفسك لله ولرسوله ولإمامك، وأنقاهم جيباً وأفضلهم حلماً، ممّن يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء على الأقوياء، ممّن لا يثيره العنف، ولا يقعد به الضعف»[3].

أخبار الرفق

هناك مصداق آخر للاّعنف طالما دعت إليه الروايات الشريفة وأكّد عليه رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام عبر مواقفهم الخالدة ألا وهو الرفق، فمن تلك الروايات الداعية إلى الرفق:

قول الإمام أبي جعفر عليه السلام: «إنّ لكلّ شيء قفل، وقفل الإيمان الرفق»[4].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٥ ص٢٧٢ ب٢٣ ح١١٢.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل: ٢٥ ومن وصية له عليه السلام كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات.

(٣) نهج البلاغة: الرسائل: ٥٣ من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر.

(٤) الكافي: ج٢ ص١١٨ باب الرفق ح١.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من زي الإيمان الفقه، ومن زي الفقه الحلم، ومن زي الحلم الرفق، ومن زي الرفق اللين، ومن زي اللين السهولة»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا رفق به»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو كان الرفق خلقاً يرى ما كان ممّا خلق الله شيء أحسن منه»[3].

وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: «كان ممّا أوصى به الخضر عليه السلام موسى بن عمران عليه السلام انّه قال: لا تعيّرن أحداً بذنب فإنّ أحبّ الأُمور إلى الله ثلاثة: القصد في الجدة، والعفو في المقدرة، والرفق بعباد الله، وما أرفق أحداً بأحد في الدنيا إلاّ رفق الله به يوم القيامة»[4].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «ما زوي الرفق عن أهل بيت إلاّ زوي عنهم الخير»[5].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الرفق رأس الحكمة، اللّهمّ من ولي شيئاً من أُمور أُمّتي فرفق فارفق به ومن شقّ عليهم فأُشقق عليه»[6].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله رفيق يحبّ الرفق ويعين عليه»[7].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٥٩ ب١٠٦ ح١٥٩٤٥.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٩٢ ب٢٧ ح١٣٠٦٣.
(٣) الكافي: ج٢ ص١٢٠ باب الرفق ح١٣.
(٤) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٩٤ ب٢٧ ح١٣٠٧٢.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٧١ ب٢٧ ح٢٠٤٨٧.
(٦) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٩٥ ب٢٧ ح١٣٠٧٤.
(٧) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٧١ ب٢٧ ح٢٠٤٨٩.

وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: «من قسم له الرفق قسم له الإيمان»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ في الرفق الزيادة والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم الخير»[2].

وقال صلى الله عليه وآله: «ما اصطحب إثنان إلاّ كان أعظمهما أجراً وأحبّهما إلى الله أرفقهما بصاحبه»[3].

أخبار العفو

علاوة على كلّ الروايات التي تنص على اللاّعنف والرفق هناك روايات أُخر تؤكّد على العفو والتزام الصفح عن الغير، وعدم الاعتماد على لغة العنف في التعامل مع الآخرين.

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة له: «ألا أُخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة، العفو عمّن ظلمك وتصل من قطعك والإحسان إلى من أساء إليك وإعطاء من حرمك»[4].

وعن رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «من عفا عن أخيه المسلم عفا الله عنه»[5].

وعن أبي الحسن عليه السلام قال: «ما التقت فئتان قطّ إلاّ نصر أعظمهما عفواً»[6].

---

(١) الكافي: ج٢ ص١١٨ باب الرفق ح٢.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٧١ ب٢٧ ح٢٠٤٨٦.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٧١ ـ ٢٧٢ ب٢٧ ح٢٠٤٩٠.
(٤) الكافي: ج٢ ص١٠٧ باب العفو ح١.
(٥) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٨ ب٩٥ ح١٠٠٤٦.
(٦) بحار الأنوار: ج٦٨ ص٤٠٢ ب٩٣ ح٨.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين عليه السلام قال: سمعته يقول: «إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأوّلين والآخرين في صعيد واحد ثمّ ينادي مناد: أين أهل الفضل، قال: فيقوم عنق من الناس فتلقاهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم، فيقولون: كنّا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمّن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنّة»(١).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «العفو عند القدرة من سنن المرسلين والمتّقين، وتفسير العفو أن لا تلزم صاحبك فيما أجرم ظاهراً وتنسى من الأصل ما أصبت منه باطناً، وتزيد الاختبارات إحساناً، ولن يجد إلى ذلك سبيلا إلاّ من قد عفا الله عنه، وغفر له ما تقدّم وتأخّر وزيّنه بكرامته وألبسه من نور بهائه، لأنّ العفو والغفران صفتان من صفات الله عز وجل أودعهما في أسرار أصفيائه ليتخلّقوا مع الخلق بأخلاق خالقهم وجعلهم كذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)، من لا يعفو عن بشر مثله كيف يرجو عفو ملك جبّار»(٣).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من عفا عن أخيه المسلم عفا الله عنه»(٤).

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ثلاثة ينزلون الجنّة حيث يشاؤون، إلى أن قال: ورجل عفا عن مظلمة»(٥).

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٠٧ باب العفو ح٤.
(٢) سورة النور: ٢٢.
(٣) بحار الأنوار: ج٦٨ ص٤٢٣ ب٩٣ ح٦٢.
(٤) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٨ ب٩٥ ح١٠٠٤٦.
(٥) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٨ ب٩٥ ح١٠٠٤٧.

وعن سعدان، عن معتب قال: كان أبو موسى عليه السلام في حائط له يصرم فنظرت إلى غلام له قد أخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط فأتيته وأخذته وذهبت به إليه، فقلت: جعلت فداك إنّي وجدت هذا وهذه الكارة، فقال للغلام: يافلان.

قال: لبّيك.

قال: «أتجوع». قال: لا ياسيّدي.

قال: «فتعرى»، قال: لا ياسيّدي.

قال: «فلأيّ شيء أخذت هذه»، قال: اشتهيت ذلك.

قال: «اذهب فهي لك».

وقال: «خلّو عنه»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال لعبد بن جندب: «يابن جندب صل من قطعك، وأعط من حرمك، وأحسن إلى من أساء إليك، وسلّم على من سبّك، وأنصف من خاصمك، واعف عمّن ظلمك، كما إنّك تحبّ أن يُعفى عنك»[2].

وقد شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله خدمه فقال له: «اعف عنهم تستصلح به قلوبهم»، فقال: يا رسول الله انّهم يتفاوتون في سوء الأدب، فقال: «اعف عنهم» ففعل[3].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «من بدأ بالشرّ زيّف أصله، ومن كافأ به شارك أهله»[4].

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٠٨ باب العفو ح٧.
(٢) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١١ ب٩٦ ح١٠٠٥٥.
(٣) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٧ ب٩٥ ح١٠٠٤١.
(٤) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٨ ب٩٥ ح١٠٠٤٨

وفي الحديث: «قد كان رسول الله ﷺ يأمر في كلّ مجالسه بالعفو وينهى عن المُثلة»[1].

أخبار الحلم

وكما أنّ العفو يعدّ من أبرز مصاديق اللّاعنف، فإنّ هناك مصاديق أُخرى لا تقلّ عنه أهميّة، منها: الحلم والدأب على غضّ الطرف عن إساءة الآخرين، ومقابلة تصرّفاتهم العنيفة بالحلم والسماحة.

ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينبغي للمؤمن أن يكون فيه ثماني خصال: وقوراً عند الهزاهز، صبوراً عند البلاء، شكوراً عند الرخاء، قانعاً بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء، بدنه منه في تعب، والناس منه في راحة، إنّ العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل أمير جنوده، والرفق أخوه، والبرّ والده»[2].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إنّ الله عز وجل... يحبّ الحيي الحليم، العفيف المتعفّف»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما: قلت وقلت وأنت أهل لما ستجزى بما قلت، ويقولان للحليم منهما: صبرت وحلمت سيغفر الله لك إن أتممت ذلك، فإن ردّ الحليم عليه ارتفع الملكان»[4].

وعن الربيع صاحب المنصور (في حديث طويل) إنّ المنصور قال

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٧ ب٩٥ ح١٠٠٤٢.
(٢) الكافي: ج٢ ص٤٧ باب خصال المؤمن ح١.
(٣) أمالي الشيخ الصدوق: ص٢٥٤ المجلس ٤٤ ح٤.
(٤) الكافي: ج٢ ص١١٢ باب الحلم ح٩.

للإمام الصادق عليه السلام: حدّثني عن نفسك بحديث أتّعظ به، ويكون لي زاجر صدق عن الموبقات، فقال الإمام الصادق عليه السلام: «عليك بالحلم فإنّه ركن العلم، واملك نفسك عند أسباب القدرة، فإنّك إن تفعل ما تقدر عليه كنت كمن شفى غيظاً، أو تداوى حقداً، أو يحبّ أن يذكر بالصولة، واعلم بأنّك إن عاقبت مستحقّاً لم تكن غاية ما توصف به إلاّ العدل، ولا أعرف حالا أفضل من العدل، والحال التي توجب الشكر أفضل من الحال التي توجب الصبر»[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام فيما أوصى به ابنه الحسن عليه السلام قال: «يا بني، العقل خليل المرء، والحلم وزيره، والرفق والده، والصبر من خير جنوده»[2].

وعن الإمام علي عليه السلام قال: «ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة: شريف من وضيع، وحليم من سفيه، ومؤمن من فاجر»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ألا أُخبركم بأشبهكم بي خلقاً» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «أحسنكم خلقاً وأعظمكم حلماً، وأبرّكم بقرابته»[4].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كلمتان غريبتان فاحتملوها: كلمة من سفيه فاقبلوها، وكلمة سفه من حكيم فاغفروها»[5].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «الحلم سراج الله يستضيء به

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص٦١٣ المجلس ٨٩ ح٩.
(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ص١٤٦ المجلس٥ ح٢٤٠.
(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ص٦١٤ المجلس ٢٩ ح٦.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٦٧ ب٢٦ ح٢٠٤٧١.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٦٧ ب٢٦ ح٢٠٤٧٢.

صاحبه إلى جواره، ولا يكون حليماً إلاّ المؤيّد بأنوار المعرفة والتوحيد، والحلم يدور على خمسة أوجه: أن يكون عزيزاً فيذلّ، أو يكون صادقاً فيتّهم، أو يدعو إلى الحقّ فيستخفّ به، أو أن يُؤذى بلا جرم، أو أن يطلب الحقّ ويخالفوه فيه، فإذا آتيت كلاًّ منهما حقّه فقد أصبت، وقابل السفيه بالإعراض عنه وترك الجواب تكن الناس أنصارك لأنّ من حارب السفيه فكأنّه قد وضع الحطب على النار»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمن كمثل الأرض، منافعهم منها إذا هم عليها، ومن لا يصبر على جفاء الخلق لا يصل إلى رضى الله تعالى، لأنّ رضى الله تعالى مشوب بجفاء الخلق، إلى أن قال ﷺ: بعثت للحلم مركزاً وللعمل معدناً وللصبر مسكناً...»(٢).

أخبار كظم الغيظ

هذا وقد دعا الإسلام العزيز إلى مصداق آخر من مصاديق اللاّعنف وأكّد عليه بكلّ حثاثة، ألا وهو كظم الغيظ والتجاوز عن إساءة الغير مع التمكّن من ردّها.

ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام إنّه قال للإمام الحسين عليه السلام: «يا بني ما الحلم؟ قال: كظم الغيظ وملك النفس»(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال موسى بن عمران: إلهي فما جزاء من صبر على أذى الناس وشتمهم فيك؟ قال: أُعينه على أهوال يوم القيامة»(٤).

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٨٩ ب٢٦ ح١٣٠٥٢.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٨٩ ب٢٦ ح١٣٠٥٢.
(٣) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١١ ب٩٧ح١٠٠٥٦.
(٤) أمالي الشيخ الصدوق: ص٢٠٨ المجلس ٣٧ ح٨.

وعن رسول الله ﷺ قال: «ما من جرعة أحبّ إلى الله من جرعتين: جرعة غيظ يردّها مؤمن بحلم، وجرعة جزع يردّها مؤمن بصبر»[1].

وعن رسول الله ﷺ قال: «ليس القوي من يصرع الفرسان، إنّما القوي من يغلب غيظه ويكظمه»[2].

وعن رسول الله ﷺ: «من كظم غيظاً ملأ الله جوفه إيماناً، ومن أعرض عن محرّم أبدله الله بعبادة تسرّه، ومن عفا عن مظلمة أبدله الله بها عزّاً في الدنيا والآخرة»[3].

وعن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يرزقون مرافقة الأنبياء، رجل يدفع إليه قاتل وليّه فعفا عنه، ورجل عنده أمانة لو يشاء لخانها فيردّها إلى من ائتمنه عليها، ورجل كظم غيظه عن أخيه ابتغاء وجه الله»[4].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: «ما تجرّعت جرعة غيظ قطّ أحبّ إليَّ من جُرعة غيظ أعقبها صبراً، وما أُحبّ أنّ لي بذلك حمر النعم»[5].

وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: «ما من جرعة يجرعها عبد أحبّ إلى الله عز وجل من جرعة غيظ يردِّدها في قلبه فردّها بصبر أو ردّها بحلم»[6].

---

(١) أمالي الشيخ المفيد: ص١١ المجلس ١ ح٨.
(٢) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٢ ب٩٧ ح١٠٠٦١.
(٣) أمالي الشيخ الطوسي: ص١٨٢ المجلس ٧ ح٨.
(٤) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٢ ب٩٧ ح١٠٠٦٢.
(٥) أمالي الشيخ الطوسي: ص٦٧٣ المجلس ٣٦ ح٢٦.
(٦) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١١ ب٩٧ ح١٠٠٥٧.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من عبد كظم غيظاً إلاّ زاده الله عز وجل به عزّاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[1] وآتاه الله تبارك وتعالى الجنّة مكان غيظه ذلك»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً إلى يوم القيامة»[3].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «نعمت الجرعة الغيظ لمن صبر عليها»[4].

أخبار اللين

إحدى الخصال المهمّة للمؤمن كما نصّت عليه الروايات الشريفة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام هي اللين وترك الفظاظة والغلظة والعنف وغيرها مما تنفّر الناس عمّن يبتلى بها.

ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ألا أُخبركم بمن تحرم عليه النار غداً، قالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: الهيّن الليّن القريب اللين السهل»[5].

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: إنّ قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أو حدّثوا به صعق أحدهم حتّى يرى أنّ أحدهم لو

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٤.
(٢) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١١ ب٩٧ ح١٠٠٥٨.
(٣) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٢ ب٩٧ ح١٠٠٥٩.
(٤) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٢ ب٩٧ ح١٠٠٥٩.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٥٨ ب١٠٦ ح١٥٩٤٣.

قطّعت يداه ورجلاه لم يشعر بذلك، فقال عليه السلام: «سبحان الله ذلك من الشيطان ما بهذا نعتوا، إنّما هو اللين والرقّة والدمعة والوجل»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ المؤمن ليدرك بالحلم واللين درجة العابد المتهجّد»[2].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «المؤمن هيّن ليّن سمح، له خُلُق حسن، والكافر فظّ غليظ، له خُلُق سيئ وفيه جبرية»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما كان جبرائيل يأتيني إلاّ قال: يا محمّد اتّق شحناء الرجال وعداوتهم»[4].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «من زرع العداوة حصد ما بذر»[5].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتدرون من يحرم على النار؟ كلّ هيّن ليّن سهل قريب»[6].

وعن أبي عبد الله عليه السلام انّه قال للمفضّل بن عمر: «... وإن شئت أن تُكرم فلِن، وإن شئت أن تُهان فاخشن، ومن كرم أصله لان قلبه، ومن خشن عنصره غلظ كبده»[7].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢١٣ ب٢٥ ح٧٧٦١.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٨٨ ب٢٦ ح١٣٠٤٧.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٥٩ ب١٠٦ ح١٥٩٤٦.
(٤) الكافي: ج٢ ص٣٠١ باب المراء والخصومة ومعاداة الرجال ح٩.
(٥) الكافي: ج٢ ص٣٠٢ باب المراء والخصومة ومعاداة الرجال ح١٢.
(٦) جامع السعادات: ج٢ ص٣٤٠.
(٧) الكافي: ج١ ص٢٧ كتاب العقل والجهل ح٢٩.

فصل

اللاعنف في سيرة الرسول (ص)

وأهل بيته (ع)

الرسول الأعظم (ص) واللاعنف

إحدى أهم الأدلة على أنّ الإسلام يتّبع أُسلوب اللّاعنف هي منهجية الرسول الأعظم ﷺ وسيرته في تعامله حتى مع مناوئيه، حيث إنّه ﷺ قدّم للبشرية جمعاء خير شاهد على أنّ الإسلام يدعو إلى اللّاعنف وينبذ البطش والعنف.

ونذكر هنا بعض الشواهد:

الإرفاق بالأسرى

عندما فتح الإمام علي عليه السلام خيبر أخذ فيمن أخذ صفيّة بنت حييّ بن أخطب فدعا بلالاً فدفعها إليه، وقال له: يا بلال لا تضعها إلاّ في يدي رسول الله ﷺ حتّى يرى فيها رأيه.

فأخرجها بلال ومرّ بها في طريقه إلى رسول الله ﷺ على القتلى، فكادت تزهق روحها جزعاً، فقال رسول الله ﷺ لمّا علم بذلك: أنُزعت منك الرحمة يابلال؟

ثمّ عرض رسول الله ﷺ عليها الإسلام، فأسلمت، فاصطفاها لنفسه ثمّ أعتقها وتزوّجها، فكانت امرأة مؤدّبة(١).

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٢١ ص٢٢ ب٢٢.

من مكارم رسول الله (ص)

إن رسول الله ﷺ لم يهدر دم أحد إلا إذا كان مستحقاً للقتل لعظيم جرمه، وكانوا قلة، كقاتل عمه حمزة، ومع ذلك فإن أكثرهم استأمن لهم بعض معارفهم، فأمنهم رسول الله ﷺ وخرجوا من استتارهم، وجاءوا إليه ﷺ وأسلموا على يديه، فقبل إسلامهم وعفا عنهم.

وكان أحد هؤلاء: صفوان بن أُميّة، وقد فرّ يومئذ، فاستأمن له عمير بن وهب الجمحي رسول الله ﷺ، فأمنه، وأعطاه عمامته التي دخل بها مكّة.

فلحقه عمير وهو يريد أن يركب البحر فردّه وقال: ياصفوان، اذكر الله في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله ﷺ قد جئتك به.

فقال صفوان، وهو يستبعد ذلك حسب رأيه وحسب الموازين الحاكمة في الجاهلية سابقاً: أُغرب عنّي فلا تكلّمني.

فقال له عمير، وهو يريد أن يطمئنه: أي صفوان أُعلمك أنّ أفضل الناس وأبرّ الناس وخير الناس ابن عمّك، عزّه عزّك، وشرفه شرفك، وملكه ملكك.

فقال صفوان، وهو يبدي ما في قرارة نفسه وما انطوى عليه الجاهليون من الغدر: إنّي أخافه على نفسي.

فقال له عمير: انّه ليس كما تتصوّر، بل هو أحلم من ذلك وأكرم.

فاطمأنّ صفوان لما أراه عمير عمامة رسول الله ﷺ التي بعثها إليه علامة لأمانه.

فرجع معه حتّى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال: هذا يزعم أنّك أمّنتني؟

فقال ﷺ: صدق.

قال: فاجعلني بالخيار شهرين.

قال ﷺ: أنت بالخيار أربعة أشهر.

مع عكرمة بن أبي جهل

وكذلك من الأشخاص الذين أُستأمن لهم فآمنهم رسول الله ﷺ عكرمة بن أبي جهل، حيث استأمنت له زوجته أُمّ حكيم بنت الحارث بن هشام وأخبرت زوجها بذلك وهي تقول له: جئتك من عند أوصل الناس، وأبرّ الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك وقد استأمنت لك فآمنك.

فجاء معها إلى رسول الله ﷺ وأسلم على يديه، ثمّ قال: يا رسول الله ﷺ مرني بخير ما تعلم فاعمله.

قال ﷺ: قل أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، وجاهد في سبيل الله.

عفوه عن ابن الزبعرى

ينقل إن عبد الله بن الزبعرى كان يهجو رسول الله ﷺ ويعظم القول فيه والوقيعة في المسلمين، وعندما فتحت مكّة فرّ منها، وبعد أن عرف أنّ الرسول ﷺ رسول الرحمة والإنسانية رجع إلى مكّة واعتذر من الرسول ﷺ ممّا بدا منه.

فقبل الرسول الأعظم ﷺ عذره وأمر له بحلّة، وعلى أثر ذلك أسلم، وأنشد شعراً يقول فيه:

ولقد شهدت أنّ دينك صادق حقّاً وإنّك في العباد جسيم

والله يشهد أنّ أحمد مصطفى مستقبل في الصالحين كريم

وقال أيضاً:

فالآن أخضع للنبي محمّد بيد مطاوعة وقلب نائب
ومحمّد أوفى البريّة ذمّة وأعزّ مطلوب وأظفر طالب
هادي العباد إلى الرشاد وقائد للمؤمنين بضوء نور الثاقب
إنّي رأيتك يا محمّد عصمة للعالمين من العذاب الواصب(١)

يهودي يحبس الرسول (ص)

عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال: إنّ يهودياً كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله دنانير، فتقاضاه.

فقال صلى الله عليه وآله له: يا يهودي، ما عندي ما أعطيك.

فقال: فإنّي لا أُفارقك يا محمّد حتّى تقضيني.

فقال: إذن أجلس معك.

فجلس صلى الله عليه وآله معه حتّى صلّى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخر والغداة، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يتهدّدونه ويتواعدونه.

فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إليهم فقال: ما الذي تصنعون؟

فقالوا: يا رسول الله يهودي يحبسك؟

فقال صلى الله عليه وآله: لم يبعثني ربّي عزّ وجلّ بأن أظلم معاهداً ولا غيره.

فلمّا علا النهار قال اليهودي: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله وشطر مالي في سبيل الله(٢).

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج١ ص١٦٧.
(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص٤٦٥ المجلس ٧١ ح٦.

الإسلام والسجون

من الشواهد على أنّ الإسلام يتبع أُسلوب اللّاعنف إنّه لم يكن للرسول الأعظم ﷺ سجن اطلاقاً، بل كان إذا أراد أن يودع أحداً في السجن ليوم أو لأيّام معدودات ـ أقلّ من أصابع اليد ـ كان يحفظه في دار كانت بباب المسجد.

وقد بقي هذا القانون حتّى زمان أبي بكر أمّا في زمان عمر فقد استأجر داراً وجعلها سجناً ليوم أو لبعض الأيّام لأشخاص قلّة[1].

بل حتّى الأُسراء لم يودعهم الإسلام في السجون أو المعسكرات وإنّما كانوا مطلقين، فمن شاء منهم أن يذهب إلى بلده ومن شاء منهم أن يبقى في المدينة المنوّرة، وهذا ما يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾[2]. حيث كان الأسير يسير بحريته.

عفوه (ص) عن الأعرابي

عن جابر بن عبد الله: إنّ النبي ﷺ نزل تحت شجرة فعلّق بها سيفه ثمّ نام، فجاء أعرابي فأخذ السيف وقام على رأسه، فاستيقظ النبي ﷺ.

فقال الرجل: يا محمّد من يعصمك الآن منّي؟

---

(١) جاء في كتاب تاريخ الإسلام السياسي: «ولم يكن السجن بمعناه المعروف الآن موجوداً في زمن الرسول ﷺ، ولا في عهد أبي بكر، وإنّما استحدث في زمن عمر بن الخطاب، إذ كان الحبس لا يتعدّى في عهد الرسول ﷺ منع المتّهم من الاختلاط بغيره، وذلك بوضعه في بيت أو مسجد، وملازمة الخصم، أو ينيبه عنه له فلم يكن السجن إذن مكاناً يحبس فيه المجرم كما كانت عليه الحال في عهد عمر، ومن جاء بعده من الخلفاء . (تاريخ الإسلام السياسي) حسن إبراهيم حسن: ج١ ص٤٥١ طبعة مصر.

(٢) سورة الإنسان: ٨.

قال ﷺ: الله تعالى.

فرجف وسقط السيف من يده.

وفي خبر آخر: إنّه بقي جالساً زماناً ولم يعاقبه النبي ﷺ[1].

رحلته (ص) إلى الطائف

لمّا اشتدّ بلاء قريش على رسول الله ﷺ وعقيب وفاة ناصره وحاميه أبي طالب عليه السلام عانى الرسول ﷺ من سفهاء قريش ما عاناه، حيث إنّهم تجرّؤوا عليه وكاشفوه بالأذى ونالوا منه ما لم ينل قومه في مكّة.

وقد كان معه آنذاك زيد بن حارثة مولاه، فأقام بينهم في الطائف عشرة أيّام لا يدع أحداً من أشرافهم إلاّ جاءه وكلّمه.

فقالوا: أخرج من بلادنا، وأغرّوا به سفهاءهم، فأخذوا يرجمون عراقيبه ﷺ بالحجارة حتّى اختضبت نعلاه بالدماء.

وكان ﷺ إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذونه بعضديه ويقيمونه، فإذا مشى رجموه وهم يضحكون، بينما كان زيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتّى لقد شجّ في رأسه شجاجاً، وما زالوا به حتّى ألجأوه إلى حائط لابنيّ ربيعة: عتبة وشيبة.

فعمد إلى الظلّ وانصرف عنه السفهاء، فأخذ ﷺ يناجي ربّه ويدعوه بالدعاء المأثور قائلاً: «اللّهمّ إنّي أشكو إليك ضعف قوّتي، وقلّة حيلتي، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، وربّ المستضعفين، وأنت ربّي، إلى من تكلني؟ إلى عدوّ بعيد يتجهّمني، أو إلى عدوّ ملّكته

---

(١) بحار الأنوار: ج١٨ ص٦٠ ب٨ ح١٩.

أمري، إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أُبالي، غير أنّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بي غضبك، أو يحلّ عليّ سخطك، لك العتبى حتّى ترضى، ولا حول ولا قوّة إلاّ بك».

فلم يدعُ على القوم أبداً، بل كان يقول: اللّهمَّ اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

اللاّعنف في غزوة أُحد

عندما انكشف المسلمون يوم أُحد وانهزموا، عمد المشركون إلى رسول الله ﷺ فرشقوه بالحجارة حتّى شجّ في وجهه وكلّمت شفته السفلى، وكادوا أن يقتلوه لولا حفظ الله تعالى له.

فقام ﷺ رافعاً يديه نحو السماء وهو يقول: إنّ الله اشتدّ غضبه على اليهود حين قالوا: عزير ابن الله، واشتدّ غضبه على النصارى أن قالوا: المسيح ابن الله، وانّ الله اشتدّ غضبه على من أراق دمي، وآذاني في عترتي.

وفي الحديث: انّه ﷺ كلّما سال الدم على وجهه المبارك تناوله بيده فرمى به في الهواء، فلا يرجع منه شيء.

وقد قيل له ﷺ: ألا تدعو عليهم؟

فقال ﷺ: اللّهمّ اهد قومي فإنّهم لا يعلمون.

ثمّ كان يقول ﷺ أسفاً عليهم: كيف يفلح قوم خضّبوا وجه نبيّهم بالدم وهو يدعوهم إلى الله.

عفوه عن هبّار

روي أنّ هبار بن الأسود كان ممّن عرض لزينب بنت رسول

الله ﷺ حين خرجت من مكّة إلى المدينة، حيث روعها هبّار بالرمح وهي في الهودج وكانت حاملاً فلما رجعت طرحت ذا بطنها، وكانت من خوفها رأت دماً وهي في الهودج، فلذلك أباح الرسول ﷺ يوم فتح مكة دم هبّار بن الأسود، ففرّ هبّار.

ثمّ قدم على رسول الله ﷺ بالمدينة. ويقال أتاه بالجعرانة حين فرغ من حنين. فمثّل بين يديه وهو يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّك رسول الله ﷺ.

فقبل الرسول ﷺ إسلامه وعفا عنه[١].

مع ابنة الطائي

وفي التاريخ: انّه هجم جند الإسلام على جبل طي وفتحوه وأخذوا الأسرى إلى المدينة، فكانت بنت حاتم الطائي فيهم.

فمرّ بها رسول الله ﷺ فقامت إليه وقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنُن عليّ منّ الله عليك.

فلم يجبها الرسول ﷺ.

وفي اليوم الثالث أشار لها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن تعيد طلبتها.

فقالت: يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن عليّ منَّ الله عليك.

فعفا النبي ﷺ عنها وقال: لا تعجلي بخروج حتّى تجدي من قومك من يكون لك ثقة حتّى يبلغك إلى بلادك.

---

(١) راجع بحار الأنوار: ٥٩ ص٣٥٠-٣٥١ ب١٠.

ولمّا قدم من قومها من تثق بهم قالت لرسول الله ﷺ: قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ.

فكساها رسول الله ﷺ وأعطاها نفقة، فخرجت معهم حتّى قدمت الشام.

اللّاعنف مع الأعرابي

روي عن أنس أنّه قال: كنت مع النبي ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية، فجذبه أعرابي بردائه جذبة شديدة حتّى أثّرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ﷺ ثمّ قال: يا محمّد احمل لي على بعيريَّ هذين من مال الله الذي عندك، فإنّك لا تحمل لي من مالك ولا مال أبيك.

فسكت النبي ﷺ ثمّ قال: المال مال الله وأنا عبده.

ثمّ قال ﷺ: ويُقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي؟

قال: لا.

قال ﷺ: لِمَ؟

قال: إنّك لتكافئ بالسيّئة الحسنة.

فضحك النبي ﷺ ثمّ أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر[1].

مع عبدالله بن أبي أُميّة

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾[2] أنّها نزلت في عبد الله بن أبي أُميّة أخي أُمّ سلمة (رحمة الله عليها).

---

(١) قريب منه في بحار الأنوار: ج١٦ ص٢٣٠ ب٩ ح٣٥.

(٢) سورة الإسراء: ٩٠.

وذلك أنّه قال هذا لرسول الله ﷺ بمكّة قبل الهجرة، فلمّا خرج رسول الله ﷺ إلى فتح مكّة استقبله عبد الله بن أبي أُميّة فسلّم، فلم يردّ عليه السلام وأعرض عنه ولم يجبه بشيء، وكانت أُخته أُمّ سلمة مع رسول الله ﷺ فدخل إليها فقال: يا أُختي إنّ رسول الله ﷺ قد قبل إسلام الناس كلّهم وردّ إسلامي، فليس يقبلني كما قبل غيري.

فلمّا دخل رسول الله ﷺ على أُمّ سلمة قالت: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله! سعد بك جميع الناس إلاّ أخي من بين قريش والعرب رددت إسلامه وقبلت إسلام الناس كلّهم.

فقال رسول الله ﷺ: يا أُمّ سلمة إنّ أخاك كذّبني تكذيباً لم يكذّبني أحد من الناس، هو الذي قال لي: «لن نؤمن لك حتّى تفجّر لنا من الأرض ينبوعاً».

فقالت أُمّ سلمة: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ألم تقل: الإسلام يجبّ ما كان قبله؟

قال: نعم.

فقبل رسول الله ﷺ إسلامه[1].

اليوم يوم المرحمة

إحدى الشواهد المهمّة الدالّة على أنّ الإسلام يدعو إلى اللّاعنف هي المواقف المهمّة التي اتّخذها رسول الإنسانية ﷺ إثر فتح مكّة المكرّمة.

فلمّا دخل المسلمون مكّة كانت إحدى الرايات في يد سعد بن

---

(١) راجع تفسير القمّي: ج٢ ص٢٦-٢٧ سورة الإسراء: ٩٠ ـ ٩٣.

عبادة وهو ينادي برفيع صوته: اليوم يوم الملحمة.. اليوم تستحلّ الحرمة. يا معشر الأوس والخزرج، ثأركم يوم الجبل.

فأتى العبّاس النبي ﷺ وأخبره بمقالة سعد.

فقال ﷺ: ليس بما قال سعد شيء، ثمّ قال للإمام علي عليه السلام: أدرك سعداً فخذ الراية منه وأدخلها إدخالا رفيقاً.

فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الراية منه وأخذ ينادي برفيع صوته: اليوم يوم المرحمة.. اليوم تصان الحرمة(١).

أخ كريم وابن أخ كريم

وبعد أن فتح الجيش الإسلامي مكّة المكرّمة تجلّت أيضاً عظمة الإسلام وانبرت حقيقته الناصعة الداعية إلى اللين واللّاعنف ونبذ العنف والبطش..

فبعد أن كان أسياد قريش يتفنّون في إيذاء النبي ﷺ وأصحابه دار فلك الزمان وانقلبت الموازين وإذا بنفس هؤلاء الأسياد يمتثلون بين يدي رسول الرحمة ﷺ وينظرون ما هو صانع بهم..

فيا ترى ماذا صنع معهم رسول الله ﷺ؟

فهل ردّ إساءتهم بمثلها؟

أم ماذا؟

يقول المؤرخّون: لمّا دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنّون أنّ السيف لا يرفع عنهم، أتى رسول الله ﷺ البيت وأخذ بعضادتي الباب

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج١ ص٢٠٨ فصل في غزواته عليه السلام.

ثمّ قال: لا إله إلاّ الله، أنجز وعده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده.

ثمّ قال: ما تظنّون؟

وما أنتم قائلون؟

فقال سهيل بن عمرو: نقول خيراً ونظنّ خيراً، أخ كريم وابن عمّ.

قال: فإنّي أقول لكم كما قال أخي يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين، ألا إنّ كلّ دم ومال ومأثرة كان في الجاهلية فإنّه موضوع تحت قدمي[1].

هكذا كان رسول الله (ص)

روي انّه بعد ما قتل وحشي حمزة سيد الشهداء عم النبي ﷺ بعث وحشي جماعة إلى النبي ﷺ انّه ما يمنعنا من دينك إلاّ أنّنا سمعناك تقرأ في كتابك أنّ من يدعو مع الله إلهاً آخر ويقتل النفس ويزني يلق آثاماً ويخلّد في العذاب ونحن قد فعلنا هذا كلّه؟

فبعث ﷺ إليهم بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾[2].

فقالوا: نخاف أن لا نعمل صالحاً؟

فبعث إليهم ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢١ ص١٣٢.
(٢) سورة الفرقان: ٧٠.
(٣) سورة النساء: ٤٨ و١١٦.

فقالوا: نخاف ألاّ ندخل في المشيئة.

فبعث إليهم ﷺ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾[1].

فجاءوا وأسلموا.

فقال النبي ﷺ لوحشي قاتل حمزة: غيّب وجهك عنّي فإنّني لا أستطيع النظر إليك.

وهذا منتهى ما قال له الرسول ﷺ.

---

(١) سورة الزمر: ٥٣.

الإمام علي (ع) واللاعنف

على خطى رسول الله ﷺ وطبق منهجيته المؤكّدة على اللّاعنف سار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واحتذى بخطاه المباركة حيث انّه عليه السلام راح يقدّم للبشرية جمعاء أعظم الدروس في اللّاعنف والتي بقي صداها يدوّي حتّى هذا اليوم في شتّى أنحاء العالم.

إنّ من يتمعّن في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام العطرة ويتأمّل مواقفه الخالدة يتجلّى له كالصبح لذي عينين، أنّه كان يدعو بشكل حثيث إلى اللّاعنف والعفو والسلام، وكان يعتمد على اللين والصفح الجميل، فمن تلك المواقف الخالدة التي قدّمها أمير المؤمنين عليه السلام في مجال اللّاعنف هو:

الإمام علي (ع) وصاحب التمر:

عن أبي مطر البصري: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بأصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي فقال عليه السلام: يا جارية ما يبكيك؟

فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه، فلمّا أتيته به أبى أن يقبله.

قال: يا عبد الله إنّها خادم وليس لها أمر، فاردد إليها درهمها وخذ التمر.

فقام إليه الرجل فلكزه[1]!.

فقال الناس: هذا أمير المؤمنين!.

فربى الرجل[2] واصفرّ وأخذ التمر وردّ إليها درهمها، ثمّ قال: يا أمير المؤمنين إرضَ عنّي.

فقال عليه السلام: ما أرضاني عنك ان أصلحت أمرك[3].

مع ابن الكوّاء:

هناك واقعة أُخرى يتجلّى فيها مدى سماحة أمير المؤمنين عليه السلام وعدم عنفه حتّى في قبال من يرميه بالشرك الذي يعدّ من الكبائر.

ففي أحد الأيّام كان أمير المؤمنين عليه السلام يصلّي صلاة الصبح فقال ابن الكوّاء من خلفه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[4].

فأنصت الإمام علي عليه السلام تعظيماً للقرآن حتّى فرغ من الآية، ثمّ عاد عليه السلام في قراءته.

ثمّ أعاد ابن الكوّاء الآية، فأنصت الإمام علي عليه السلام أيضاً، ثمّ قرأ.

فأعاد ابن الكوّاء، فأنصت الإمام علي عليه السلام ثمّ قال: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾[5] ثمّ أتمّ السورة وركع[6].

---

(١) اللكز: هو الدفع بالصدر بالكف. لسان العرب: ج٥ ص٤٠٦ مادة (لكز).
(٢) أي أخذه الربو، وهو علّة تحدث في الرئة فيصير النفس صعباً.
(٣) بحار الأنوار: ج٤١ ص٤٨ ب١٠٤ ح١.
(٤) سورة الزمر: ٦٥.
(٥) سورة الروم: ٦٠.
(٦) بحار الأنوار: ج٤١ ص٤٨ ب١٠٤ ح١.

قد عفونا عنك:

بعث أمير المؤمنين عليه السلام إلى لبيد بن عطارد التميمي في كلام بلغه، فمرّ به أمير المؤمنين عليه السلام في بني أسد، فقام إليه نعيم بن دجاجة الأسدي فأفلته، فبعث إليه أمير المؤمنين عليه السلام فأتوه به، وأمر به أن يضرب، فقال له: نعم والله إنّ المقام معك لذلّ، وإنّ فراقك لكفر.

فلمّا سمع ذلك منه قال عليه السلام: قد عفونا عنك إنّ الله عز وجل يقول: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾(١).

أمّا قولك إنّ المقام معك لذلّ فسيّئة اكتسبتها، وأمّا قولك إنّ فراقك لكفر فحسنه اكتسبتها فهذه بهذه(٢).

عفو عن ذنب:

بلغ من التزام أمير المؤمنين عليه السلام باللّاعنف إنّه حتّى مع الخوارج لم يلجأ إلى القوّة معهم وإنّما عكف على نصيحتهم وتذكيرهم بالحقّ ولكنّهم أبوا إلاّ محاربة المسلمين فحينذاك دافع الإمام عليه السلام عن الأمة.

ففي أكثر من مرّة يعاود متعصّبي الخوارج إساءتهم وتجاسرهم على أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ أنّه عليه السلام كان يلتزم باللّاعنف في قبالهم، فضلا عن ذلك كان يحثّ المسلمين إلى عدم التعرّض لهم.

فقد نُقل انه مرّت امرأة جميلة في عهد أمير المؤمنين عليه السلام فرمقها القوم بأبصارهم فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ ابصار هذه الفحول طوامح وإنّ ذلك سبب هناتها، فإذا نظر أحدكم إلى امرأة تعجّبه فليمس أهله، فإنّما هي امرأة كامرأة.

---

(١) سورة المؤمنون: ٩٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٤١ ص٤٩ ب١٠٤ ح١.

فقال رجل من الخوارج: قاتله الله كافراً ما أفقهه!

فوثب القوم ليقتلوه، فقال ﷺ: رويداً إنّما هو سبّ بسبّ أو عفو عن ذنب[1].

ليس لك عندي إلاّ ما تحبّ:

بين الفترة والأُخرى كان أمير المؤمنين عليه السلام يشرع بنصيحة الذين تقمصوا الخلافة ويرشدهم إلى درب الصواب، ولكنهم غالباً لم يلتزموا.

يقول قنبر مولى أمير المؤمنين عليه السلام: دخلت مع أمير المؤمنين عليه السلام على عثمان فأحبّ الخلوة فأومأ إليّ بالتنحّي فتنحّيت غير بعيد، فجعل عثمان يعاتبه، وهو مطرق رأسه، وأقبل إليه عثمان، فقال: ما لك لا تقول؟

فقال عليه السلام: ليس جوابك إلاّ ما تكره، وليس لك عندي إلاّ ما تحبّ، ثمّ خرج قائلا:

ولو أنّني جاوبته لأمضّه	نوافذ قولي واختصار جوابي
ولكنّني أغضي على مضض الحشا	ولو شئت أقداماً لأنشب نابي

قل أستغفر الله وأتوب إليه:

نُقل انّه جيء بموسى بن طلحة بن عبيد الله، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: قل: «أستغفر الله وأتوب إليه» ثلاث مرّات، وخلّى سبيله، وقال: اذهب حيث شئت، وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذه، واتّق الله فيما تستقبله من أمرك واجلس في بيتك[2].

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص١١٣.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص١١٤.

عفوت وصفحت:

جاء في التاريخ: إنّ الإمام علي عليه السلام كان إذا صلّى الفجر لم يزل معقّباً إلى أن تطلع الشمس، فإذا طلعت اجتمع إليه الناس، فيعلّمهم الفقه والقرآن، وكان له وقت يقوم فيه من مجلسه ذلك.

فقام عليه السلام يوماً فمرّ برجل، فرماه بكلمة هجا فيها الإمام عليه السلام، فرجع عوده على بدئه، وأمر فنودي: الصلاة جامعة.

ثمّ صعد عليه السلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: أيّها الناس إنّه ليس شيء أحبّ إلى الله ولا أعمّ نفعاً من حلم إمام وفقهه، ولا شيء أبغض إلى الله ولا أعمّ ضرراً من جهل إمام وخرقه، ألا وإنّه من لم يكن له من نفسه واعظ لم يكن له من الله حافظ، ألا وإنّه من أنصف من نفسه لم يزده الله إلاّ عزّاً، ألا وإنّ الذلّ في طاعة الله أقرب إلى الله من التعزّز في معصيته،

ثمّ قال: أين المتكلّم آنفاً؟

فلم يستطع الإنكار، فقال: ها أنذا يا أمير المؤمنين.

فقال: أما إنّي لو أشاء لقلت.

فقال الرجل: إن تعفو وتصفح فأنت أهل لذلك؟

فقال: عفوت وصفحت(١).

من أين الرجل؟

حاول معاوية بن أبي سفيان مراراً قتل أمير المؤمنين عليه السلام، فقد أسرّ إلى بعض خاصّته أنّ من قتل علياً فله عشرة آلاف دينار.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٣٢ ـ ١٣٣ ب١٠٧ ح٤٥.

فانبرى لذلك أحدهم، ولكنّه تراجع في اليوم التالي، معتذراً منه، وقال: أسير إلى ابن عمّ رسول الله ﷺ، وأبي ولديه، وأقتله؟ لا والله.. لا أفعل!

فزيّد معاوية الأجر، فجعله عشرين ألف دينار.

فقبله أحدهم، لكنّه. هو الآخر. تراجع وامتنع.

فزيّده إلى ثلاثين ألف، فقبل المهمّة رجل من «حمير»، وخرج من الشام قاصداً الكوفة.

فجاء حتّى دخل على أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة، وعليه ثياب السفر، فقال له الإمام: من أين الرجل؟

قال: من الشام.

وكانت عند الإمام عليه السلام أخباره، فاستنطقه، فاعترف، فقال له الإمام عليه السلام: فما رأيك الآن؟ أتمضي إلى ما أُمرت به؟ أم ماذا؟

فقال الرجل: لا..

ولكنّي أنصرف.

فقال الإمام لقنبر: يا قنبر أصلح راحلته، وهيّئ له زاده، وأعطه نفقته[1].

يا أيّها المدّعي لما لا يعلم:

روي أنّ قوماً حضروا عند أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب بالكوفة ويقول: سلوني قبل أن تفقدوني، فأنا لا أُسأل عن شيء دون العرش إلاّ أجبت فيه، لا يقولها بعدي إلاّ مدّع أو كذّاب مفتر.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص٢٦٠، وبحار الأنوار ج٤١ ص٣٠٥ ب١١٤ ح٣٨.

فقام إليه رجل من جنب مجلسه، وفي عنقه كتاب كالمصحف، وهو رجل آدم ظربّ طوال جعد الشعر، كأنّه من يهود العرب، فقال رافعاً صوته للإمام علي عليه السلام: يا أيّها المدّعي لما لا يعلم والمتقدّم لما لا يفهم أنا سائلك فأجب.

قال: فوثب إليه أصحاب الإمام عليه السلام وشيعته من كلّ ناحية وهمّوا به.

فنهرهم الإمام علي عليه السلام وقال: دعوه ولا تعجلوه، فانّ العجل والطيش لا يقوم به حجج الله ، ولا بإعجال السائل تظهر براهين الله تعالى.

ثمّ التفت إلى السائل فقال: سل بكلّ لسانك ومبلغ علمك أُجبك إن شاء الله تعالى بعلم لا تختلج فيه الشكوك، ولا تهيجه دنس ريب الزيغ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم[1].

مع أبي هريرة:

جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام أبو هريرة وكان يكلّم فيه ـ وأسمعه في اليوم الماضي[2] ـ وسأله حوائجه فقضاها، فعاتبه أصحابه على ذلك، فقال عليه السلام: إنّي لأستحي أن يغلب جهله علمي وذنبه عفوي ومسألته جودي[3].

أمنت عقوبتك:

دعا أمير المؤمنين عليه السلام غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت، فقال: ما حملك على ترك إجابتي؟

(١) بحار الأنوار: ج١٠ ص١٢٦ ح٦.
(٢) أي تكلّم عليه في الليلة التي قبلها في مسمع من الإمام عليه السلام.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص١١٤.

قال: كسلت عن إجابتك، وأمنت عقوبتك.

فقال: الحمد لله الذي جعلني ممّن تأمنه خلقه، امض فأنت حرّ لوجه الله[1].

هكذا هو اللاّعنف:

عندما قاتل معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين عليه السلام وخرج عليه جائراً، استولى عسكر معاوية على الماء وأحاطوا بشريعة الفرات، فقال له رؤساء الشام: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً.

وبالفعل، حينما سألهم الإمام علي عليه السلام وأصحابه أن يسوّغوا لهم شرب الماء قالوا: لا والله ولا قطرة حتّى تموت ظمئاً كما مات ابن عفّان.

ولمّا رأى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه الموت لا محالة تقدّم بأصحابه وحمل على عساكر معاوية حملات كثيفة، حتّى أزالهم عن مراكزهم، وملكوا عليهم الماء، وصار أصحاب معاوية في الفلات لا ماء لهم.

فقال للإمام عليه السلام أصحابه وشيعته: إمنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك، ولا تسقهم منه قطرة، واقتلهم بسيوف العطش، وخذهم قبضاً بالأيدي، فلا حاجة لك إلى الحرب.

فقال: لا والله لا أكافيهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة[2].

اللاّعنف حتى مع قاتله:

حينما ضرب ابن ملجم (لعنه الله تعالى) أمير المؤمنين عليه السلام على

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٢ ص١١٣.
(٢) راجع بحار الأنوار: ج٤١ ص١٤٥ ـ ١٤٦ ب١٠٧.

رأسه تلك الضربة التي انهدّت منها أركان السماوات، بقي الإمام عليه السلام يغشى عليه ويفيق، وفي تلك اللحظات الحرجة أفاق عليه السلام، فقال له الإمام الحسن عليه السلام: هذا عدوّ الله وعدوّك ابن ملجم قد أمكننا الله منه وقد حضر بين يديك.

ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه ونظر إليه وقال له بضعف وانكسار صوت: يا هذا لقد جئت عظيماً وارتكبت أمراً عظيماً وخطباً جسيماً، أبئس الإمام كنتُ لك حتّى جازيتني بهذا الجزاء؟

ألم أكن شفيقاً عليك وآثرتك على غيرك وأحسنت إليك وزدت في اعطائك؟

ألم يكن يقال لي فيك كذا وكذا فخلّيت لك السبيل ومنحتك عطائي وقد كنت أعلم أنّك قاتلي لا محالة؟ ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك علّ أن ترجع عن غيّك، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشقياء.

فدمعت عينا ابن ملجم (لعنه الله تعالى) وقال: يا أمير المؤمنين أفأنت تنقذ من في النار؟

فقال له: صدقت.

ثمّ التفت عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له: ارفق يا ولدي بأسيرك وارحمه، وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد صارتا في أُمّ رأسه وقلبه يرجف خوفاً ورعباً وفزعاً.

فقال له الإمام الحسن عليه السلام: يا أبتاه قد قتلك هذا اللعين الفاجر وأفجعنا فيك وأنت تأمرنا بالرفق فيه؟

فقال عليه السلام له: نعم يا بني! نحن أهل البيت لا نزداد على المذنب

إلينا إلاّ كرماً وعفواً، والرحمة والشفقة من شيمتنا، بحقّي عليك أطعمه يا بني ممّا تأكله، واسقه ممّا تشرب، فإن أنا متّ فاقتصّ منه ولا تحرقه بالنار، ولا تمثّل بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إيّاكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

وإن أنا عشت فأنا أولى بالعفو عنه، وأنا أعلم بما أفعل به، فإن عفوت فنحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلاّ عفواً وكرماً.

اللاّعنف عند أهل البيت (ع)

من الدروس المفيدة التي قدّمها أهل البيت عليهم السلام للبشرية قاطبة هي مواقفهم العملية الداعية إلى اللاعنف والسلم، واللين والعفو، والتغاضي عن الإساءة وعدم ردّها بمثلها.

فالتاريخ الإسلامي كان وما زال يحتفظ ويفتخر بمواقف آل الرسول عليهم السلام التي يستفاد منها مدى اعتنائهم بمسألة اللّاعنف، والشواهد التالية نماذج على ما ذكر:

الإمام الحسن (ع) واللاّعنف

أيّها الشيخ أظنّك غريبا:

روي: إنّ شامياً رأى الإمام الحسن عليه السلام راكباً فجعل يلعنه، والإمام الحسن عليه السلام لا يردّ.

فلمّا فرغ أقبل الإمام عليه السلام عليه وضحك، وقال: أيّها الشيخ أظنّك غريباً ولعلّك شبّهت، فلو استعتبتنا أعتبناك، ولو سألتنا أعطيناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك، ولو استحملتنا حملناك، وإن كنت جائعاً أشبعناك، وإن كنت عرياناً كسوناك، وإن كنت محتاجاً أغنيناك، وإن كنت طريداً آويناك، وإن كان لك حاجة قضيناها لك، فلو حرّكت رحلك إلينا وكنت ضيفنا إلى وقت إرتحالك كان أعود عليك لأنّ لك موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالا كبيراً.

فلمّا سمع الرجل كلامه بكى ثمّ قال: أشهد أنّك خليفة الله في أرضه، الله أعلم حيث يجعل رسالاته، كنت أنت وأبوك أبغض خلق إليّ والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ، وحوّل رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبّتهم[1].

شهيد اللّاعنف:

كان الإمام الحسن عليه السلام ملتزماً باللّاعنف إلى أبعد الحدود، ففي كلّ حيثيات حياته المباركة بقى يؤكّد على اللّاعنف حتّى عندما دسّت جعدة بنت الأشعث السمّ القتّال إليه وذلك بأمر من معاوية.

فبعد أن أحسّ الإمام عليه السلام أنّ السمّ أخذ يقطّع أحشائه، بعث إلى أخيه الإمام الحسين عليه السلام ولمّا جاءه عليه السلام سأله عن الذي دسّ إليه هذا السمّ الفتّاك، فلم يفصح باسم قاتله.

يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: دخل الحسين على عمّي الحسن عليه السلام حدثان ما سقي السمّ، فقام لحاجة الإنسان ثمّ رجع فقال: سقيت السمّ عدّة مرّات، وما سقيت مثل هذه، لقد لفظت طائفة من كبدي ورأيتني أقلبه بعود في يدي.

فقال له الإمام الحسين عليه السلام: يا أخي ومن سقاك؟

قال: وما تريد بذلك؟ فان كان الذي أظنّه فالله حسيبه، وإن كان غيره فما أُحبُّ أن يؤخذ بي بريء، فلم يلبث إلاّ ثلاثاً حتّى توفّي صلوات الله عليه[2].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص١٩.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٤ ص١٤٨ ب٢٢ ح١٥.

الإمام الحسين (ع) واللاّعنف

من المؤسف حقّاً أنّ كثيراً من المسلمين ـ وحتى في هذه العصور المتطورة نسبياً ـ لا يطّلعون على تاريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام الأمر الذي جعلهم يتخبّطون في مغالطات كثيرة.

ولعلّ خير شاهد على ذلك هو أنّ كثيراً من المسلمين اليوم يجهلون أهمية قانون اللاّعنف الذي نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام وجاهدوا من أجل تحقيقه ليل نهار.

فهذا الإمام الحسين عليه السلام عندما خرج إلى الكوفة اعترضه الحرّ ابن يزيد الرياحي مع رجاله البالغ عددهم نحو ألف فارس فجعجع به وبعياله ومنعهم عن مواصلة الطريق.

آنذاك وفي منتصف الظهيرة أخذ الظمأ من الحرّ وجيشه مأخذاً عظيماً، فقال الإمام الحسين عليه السلام لفتيانه: اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشفّوا الخيل ترشيفاً، ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطاس من الماء ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه، وسقي آخر، حتّى سقوها عن آخرها.

يقول علي بن الطعّان المحاربي: كنت مع الحرّ يومئذ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش قال: أنخ الراوية! والراوية عندي السقّا، ثمّ قال: يا ابن الأخ أنخ الجمل! فأنخته.

فقال عليه السلام: إشرب.

فجعلت كلّما شربت سال الماء من السقّاء.

فقال الحسين عليه السلام: إخنث السقّاء: أي اعطفه.

فلم أدر كيف أفعل، فقام عليه السلام فختنه فشربت وسقيت فرسي[1].

وهكذا كان الإمام عليه السلام في يوم عاشوراء، حيث لم يبدأهم بالحرب، وإنما القوم بدؤه بالحرب والقتال حتى قتلوا جميع أهل بيته وأصحابه حتى الطفل الرضيع.

الإمام السجّاد (ع) واللاّعنف

إنّ الذي يلاحظ سيرة الإمام علي بن الحسين عليه السلام العطرة ويتأمّل في دقائقها ويحقّق في مواعظها الكثيرة يتجلّى كالشمس في وضح النهار أنّه عليه السلام كان كأجداده الأطهار عليهم السلام ، فهم لا يقابلون العنف بمثله وإنّما يلتزمون باللين واللاّعنف حتّى مع مبغضيهم.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بالمدينة رجل بطّال يضحك الناس منه، فقال: قد أعياني هذا الرجل أن أُضحكه. يعني الإمام علي بن الحسين عليه السلام ..

قال: فمرّ الإمام السجّاد عليه السلام وخلفه موليان له، فجاء الرجل حتّى انتزع رداءه من رقبته ثمّ مضى.

فلم يلتفت إليه الإمام عليه السلام فاتّبعوه وأخذوا الرداء منه، فجاءوا به فطرحوه عليه.

فقال لهم: من هذا؟

فقالوا له: هذا رجل بطّال يضحك منه أهل المدينة.

فقال: قولوا له: إنّ يوماً يخسر فيه المبطلون[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٤ ب٣٧ ص٣٧٦.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ص٢٢٠ المجلس ٣٩ ح٦.

دعوه:

وروي انّ بعضهم شتم الإمام زين العابدين عليه السلام فقصده غلمانه فقال: دعوه فإنّ ما خفي منّا أكثر ممّا قالوا.

ثمّ قال له: أ لك حاجة يا رجل؟

فخجل الرجل.

فأعطاه عليه السلام ثوبه وأمر له بألف درهم، فانصرف الرجل صارخاً: أشهد أنّك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

طب نفساً منا:

ونقل أنّ هشام بن إسماعيل كان يؤذي الإمام علي بن الحسين في إمارته، فلمّا عزل أمر به الوليد أن يوقف للناس فقال: ما أخاف إلاّ من علي بن الحسين.

فمرّ به الإمام السجّاد عليه السلام وقد وقف عند دار مروان، وكان الإمام عليه السلام قد تقدّم إلى خاصّته ألاّ يعرض له أحد منكم بكلمة، فلمّا مرّ ناداه هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وقد أنفذ الإمام عليه السلام إليه وقال: انظر ما أعجزك من مال تؤخذ به فعندنا ما يسعك فطب نفساً منّا ومن كلّ من يطيعنا[2].

الموعظة الحسنة:

وكذلك روي أنّ شخصاً شتمه عليه السلام فقال: يا فتى إنّ بين أيدينا عقبة كؤوداً فإن جزت منها فلا أُبالي بما تقول، وإن أتحيّر فيها فأنا شرّ ممّا تقول[3].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص١٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٦ ص٩٤ ب٥ ح٨٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص١٥٧.

والكاظمين الغيظ:

و روي انّه كانت جارية تسكب على يدي الإمام السجّاد عليه السلام الماء، فنعست فسقط الإبريق من يدها فشجّه، فرفع رأسه إليها فقالت: إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾.

قال: قد كظمت غيظي.

قالت: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

قال: عفا الله عنك.

قالت: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(١).

قال: اذهبي فأنتِ حرّة لوجه الله(٢).

وعنك أغضي:

وقد سبّه عليه السلام رجل فسكت، فقال: إيّاك أعني.

فقال عليه السلام: وعنك أغضي(٣).

الإمام الباقر (ع) واللّاعنف

كذلك سار الإمام محمد الباقر عليه السلام على نهج أجداده الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) حيث انّه عليه السلام راح يقدّم للبشرية جمعاء خير دروس يستفاد منها حرصه الشديد على تربية المسلمين على اللين واللّاعنف.

يقول محمّد بن سليمان عن أبيه قال: كان رجل من أهل الشام

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٤.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص١٥٧.
(٣) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص١٥٧.

يختلف إلى أبي جعفر عليه السلام وكان مركزه بالمدينة ويقول له: يا محمّد ألا ترى أنّي إنّما أغشى مجلسك حياءً منك، ولا أقول انّ أحداً في الأرض أبغض إليّ منكم أهل البيت، وأعلم أنّ طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أمير المؤمنين في بغضكم ولكن أراك رجلا فصيحاً لك أدب وحسن لفظ، فإنّما اختلافي إليك لحسن أدبك.

وكان أبو جعفر عليه السلام يقول له خيراً، ويقول: لن تخفى على الله خافية.

فلم يلبث الشامي إلاّ قليلا حتّى مرض واشتدّ وجعه، فلما ثقل دعا وليّه وقال له: إذا أنت مددت عليّ الثوب فأت محمّد بن علي عليه السلام وسله أن يصلّي عليّ واعلمه أنّي أنا الذي أمرتك بذلك.

قال: فلمّا أن كان في نصف الليل ظنّوا انّه قد برد وسجّوه، فلمّا أن أصبح الناس خرج وليّه إلى المسجد، فلمّا أن صلّى محمّد بن علي عليه السلام وتورّك وكان إذا صلّى عقّب في مجلسه، قال له: يا أبا جعفر إنّ فلان الشامي قد هلك وهو يسألك أن تصلّي عليه.

فقال أبو جعفر عليه السلام: كلاّ إنّ بلاد الشام بلاد صرد[1] والحجاز بلاد حرّ لهبها شديد، فانطلق فلا تعجّلنّ على صاحبك حتّى آتيكم.

ثمّ قام عليه السلام من مجلسه فأخذ وضوءً ثمّ عاد فصلّى ركعتين ثمّ مدّ يده تلقاء وجهه ما شاء الله، ثمّ خرّ ساجداً حتّى طلعت الشمس، ثمّ نهض فانتهى إلى منزل الشامي فدخل عليه فدعاه، فأجابه، ثمّ أجلسه وأسنده ودعا له بسويق فسقاه وقال لأهله: املؤوا جوفه وبرّدوا صدره بالطعام البارد.

---

(١) الصرد: البرد، لسان العرب: ج٣ ص٢٤٨ مادة (صرد).

ثمّ انصرف عليه السلام فلم يلبث إلاّ قليلا حتّى عوفي الشامي، فأتى أبا جعفر عليه السلام فقال: أخلني فأخلاه، فقال: أشهد أنّك حجّة الله على خلقه وبابه الذي يؤتى منه، فمن أتى غيرك خاب وخسر وضلّ ضلالا بعيداً[1].

اللاّعنف مع النصراني:

لم يقتصر أهل البيت عليهم السلام في تعاملهم اللين، على المسلمين فحسب، بل حتّى مع ألدّ مناوئيهم من اليهود والنصارى والمشركين تجدهم (صلوات الله عليهم) ملتزمين باللّاعنف والسماحة قبال تجاسراتهم.

فقد روي أنّه جاء نصراني إلى الإمام الباقر عليه السلام وقال له: أنت بقر!.

فقال الإمام عليه السلام: لا، أنا باقر.

قال: أنت ابن الطبّاخة!

قال عليه السلام: ذاك حرفتها.

قال: أنت ابن السوداء الزنجية البذيّة.

قال عليه السلام: إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك.

فأسلم النصراني[2].

الإمام الصادق (ع) واللاّعنف

كما عكف الإمام الصادق عليه السلام على نشر علوم الإسلام وترويج

(١) بحار الأنوار: ج٤٦ ص٢٣٣ ـ ٢٣٤ ب٥ ح١.
(٢) بحار الأنوار: ج٤٦ ص٢٨٩ ب٦ح١٢.

معارف آبائه الطاهرين عليهم السلام كذلك وفي ذات الوقت فانّه عليه السلام ظلّ يؤكّد على مسألة بيان قوانين الإسلام المهمّة التي حاربتها الحكومات الظالمة وعملت على محو آثارها من بين المسلمين.

ومن أهمّ هذه القوانين التي دعا إليها الإمام الصادق عليه السلام هو قانون اللّاعنف حتى مع المناوئين والمخالفين.

فقد أتاه رجل وقال له: إنّ فلاناً ابن عمّك ذكرك فما ترك شيئاً من الوقيعة والشتيمة إلاّ قاله فيك!

فقال أبو عبد الله عليه السلام للجارية: ائتني بوضوء.

فتوضّأ عليه السلام ودخل، فقلت في نفسي يدعو عليه، فصلّى ركعتين، فقال: «يا ربّ هو حقّي قد وهبته، وأنت أجود منّي، فهبه لي، ولا تؤاخذ بي ولا تقايسه».

ثمّ رقّ، فلم يزل يدعو، فجعلت أتعجّب[1].

الإمام الكاظم (ع) واللّاعنف

كذلك كان للإمام موسى بن جعفر عليه السلام العديد من المواقف الخالدة التي لقّن من خلالها البشرية جمعاء دروساً بالغة الأهميّة في مسألة اللين واللّاعنف والدعوة إلى الإسلام بالتي هي أحسن، نذكر منها ما يلي:

إنّ العمريّ كان يؤذيه عليه السلام ويشتم الإمام علي عليه السلام، فقال له بعض حاشيته: دعنا نقتله، فنهاهم عن ذلك، فركب يوماً إليه فوجده في مزرعة فجالسه وباسطه، وقال له: كم غرمت في زرعك هذا؟

---

(١) مشكاة الأنوار: ص٢١٨ ب٤ فصل١١.

قال: مائة دينار.

قال: وكم ترجو أن تصيب؟

قال: مائتي دينار.

فأخرج له صرّة فيها ثلاثمائة دينار، فقال: هذا زرعك على حاله يرزقك الله فيه ما ترجو.

فاعتذر العمري إليه وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالاته وكان يخدمه بعد ذلك[1].

وهكذا كان الإمام الرضا والإمام الجواد والإمام الهادي والإمام العسكري والإمام الحجة (عليهم صلوات الله).

الإمام الحجّة (ع) واللاّعنف

كثيراً ما يتردّد على لسان البعض من الناس قولهم: إنّ الإمام الحجّة عليه السلام إذا ظهر وجاء، فإنّه سوف يجري أنهاراً من الدماء ليطهّر الأرض من المجرمين وينتقم من غير المؤمنين ويأخذ ثاراته.

مثل هذه الشبهة التي لا أصل لها في الأخبار لا يبعد أن يكون منشؤها ومروّجها هم مناؤوا الإمام الحجّة عليه السلام، فهم يريدون بذلك الحطّ من شأن الإمام فضلا عن إقصاء الناس عن إمامهم الغائب الذي طالما انتظروه ودعوا له بالفرج.

وفي واقع الأمر إنّ الذي يلاحظ الأخبار المتعلّقة بسيرة الإمام المهدي عليه السلام وما سيكون من أحداث ووقائع لدى ظهوره (عجّل الله تعالى فرجه) يجد أنّه على نفس سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام أمير

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص٣١٩.

المؤمنين عليه السلام، فهو ينهض بالسيف ولكن ليس مع عامّة الناس ممّن لا ذنب لهم ولا جرم، وإنّما هو عليه السلام يعمد إلى مغرضي الإسلام ومناوئيه ممّن يحاربونه ويعدّون العدّة ضدّ المؤمنين.

وإلا فإن العالم بأجمعه عند ما يعرفون الإمام عليه السلام وحقانيته وحقانية الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام فإنهم يدخلون في دين الله أفواجاً.

من جانب آخر فإن الإمام عليه السلام لا يلجأ إلى السيف والقوّة حتى مع الأعداء إلاّ بعد أن يتمّ الحجج والبراهين عليهم فيردّونها ويأبون إلاّ أن يفسدوا البلاد وإيذاء العباد، آنذاك يقاتلهم عليه السلام ويقيم فيهم السيف.

ومن هنا وردت الروايات التي تنص على أنّه عليه السلام يسير بسيرة أجداده: رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين (عليهما الصلاة والسلام)، فهما عليهما السلام كانا لا يقاتلان أحداً أبداً إلاّ بعد اليأس من صلاحه والاطمئنان بعدم قابليته للهداية.

ففي الحديث عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إذا أذن الله عز وجل للقائم في الخروج، صعد المنبر، ودعا الناس إلى نفسه وناشدهم بالله ودعاهم إلى حقّه، وأن يسير فيهم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ويعمل فيهم بعمله»[1].

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المهدي من ولدي إسمه إسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخُلُقاً، تكون به غيبة وحيرة»[2].

---

(١) بحار الأنوار: ج٥٢ ص٣٣٧ ب٢٧ ح٧٨.
(٢) كمال الدين: ص٢٨٦ ب٢٥ ح١.

وعن الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «المهدي من ولدي... أشبه الناس بي خلقاً وخُلُقاً»(١).

وقال أبو جعفر عليه السلام: «في صاحب هذا الأمر سنّة من موسى عليه السلام وسنّة عيسى عليه السلام وسنّة من يوسف عليه السلام وسنّة من محمّد صلى الله عليه وآله... أمّا من محمّد فالقيام بسيرته وتبيين آثاره»(٢).

وقد سُئل أبو جعفر عليه السلام عن القائم إذا قام بأي سيرة يسير في الناس؟ فقال عليه السلام: «بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى يظهر الإسلام، قلت: وما كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: أبطل ما كانت في الجاهلية، واستقبل الناس بالعدل، وكذلك القائم عليه السلام إذا قام يبطل ما كان في الهدنة ممّا كان في أيدي الناس ويستقبل بهم العدل»(٣).

من بركات الإمام الحجّة (عجل الله فرجه الشريف)

على خلاف ما يصوره البعض من أنّ الإمام الحجّة (عجّل الله تعالى فرجه) إذا ظهر فإنه سينتقم من الناس ويقتلهم، فهناك العديد من الروايات التي تنص على أنّ عهده عليه السلام سيكون عهد البركات والخيرات، إذ أنّ الفقر والظلم وغيرهما من المساوئ تنتفي آنذاك وتملأ الأرض قسطاً وعدلا.

وإلى هذا المعنى يشير أمير المؤمنين عليه السلام في حديث له قائلا: «بنا يفتح الله، وبنا يختم الله، وبنا يمحو ما يشاء، وبنا يثبت، وبنا يدفع الله الزمان الكلب، وبنا ينزل الغيث، فلا يغرنّكم بالله الغرور، ما أنزلت

---

(١) كمال الدين: ص٢٨٧ ب٢٥ ح٤.
(٢) كمال الدين: ص٣٢٩ ب٣٢ ح١١.
(٣) بحار الأنوار: ج٥٢ ص٣٨١ ب٢٧ ح١٩٢.

السماء قطرة من ماء منذ حبسه الله عز وجل ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها، ولذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتّى تمشي المرأة بين العراق إلى الشام، لا تضع قدميها إلاّ على النبات، وعلى رأسها زبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه»[1].

وروى علي بن عقبة، عن أبيه قال: «إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيّامه الجور، وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، وردّ كلّ حقّ إلى أهله، ولم يبق أهل دين حتّى يظهر والإسلام، ويعترفوا بالإيمان، أما سمعت الله سبحانه يقول: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾»[2].

(١) بحار الأنوار: ج٥٢ ص٣١٦ ب٢٧ ح١١.

(٢) بحار الأنوار: ج٥٢ ص٣٣٨ ب٢٧ ح٨٣.

التربية على اللاّعنف

علاوة على اعتناء رسول الله ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام بمسألة اللّاعنف في تعاملهم الشخصي مع الآخرين، فإنّهم عليهم السلام في نفس الوقت أخذوا يؤكّدون على قضية تربية الآخرين من شيعتهم وغيرهم على اللين واللّاعنف.

فبين الفترة والأُخرى يعمد أهل بيت الرسالة عليهم السلام إلى الناس سيّما الحواريين من أتباعهم الخلّص ويلقّنوهم دروساً بالغة الأهمية في ذلك، ومن خلال تلك المواقف الخالدة التي كان يتّخذها الأئمّة عليهم السلام قبال مناوئيهم وغيرهم ممّن لا حظّ لهم بمعرفة قدر الإمام كان العديد من الناس يصلون إلى الحقيقة ويدركون عظمة الإسلام الذي يؤكّد على نبذ العنف حتّى مع ألدّ الخصام.

ولعلّ خير شاهد على هذا الاعتناء التربوي هو ما ضمّته طيّات التاريخ من مواقفهم الدالّة على أنّهم عليهم السلام يولون مسألة تربية المجتمع الإسلامي على اللّاعنف إهتماماً طائلا، وكان منها ما يلي:

يا علي.. اقطع لسانه:

ينقل أنّ رسول الله ﷺ أعطى العبّاس بن مرداس أربعاً من الإبل، فسخطها، وأنشأ يقول:

أتجعل نهبي ونهب العبيد   بين عيينة والأقرع

فـمـا كـان حـصـن ولا حـابـس يـفـوقـان شـيـخـي فـي الـمـجـمـع
ومـا كـنـت دون امـرئ مـنـهـمـا ومـن تـضـع الـيـوم لـم يـرفـع

فبلغ النبي ﷺ قوله فاستحضره وقال له: أنت القائل أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟

فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمّي لست بشاعر.

فقال: وكيف؟

قال: قال بين عيينة والأقرع.

فقال رسول الله ﷺ لأمير المؤمنين عليه السلام: قم واقطع لسانه!.

قال: فقال العبّاس بن مرداس: والله لهذه الكلمة كانت أشدّ عليّ من يوم خثعم حين أتونا في ديارنا، فأخذ بيدي علي بن أبي طالب عليه السلام فانطلق بي ولو أدري أنّ أحداً يخلّصني منه لدعوته.

فقلت: يا علي إنّك لقاطع لساني؟

قال: إنّي لممض فيك ما أُمرت.

قال: ثمّ مضى بي، فقلت: يا علي إنّك لقاطع لساني؟

قال: إنّي لممض فيك ما أُمرت.

قال: فما زال بي حتّى أدخلني الحظائر، فقال لي: اعقل ما بين أربع إلى مائة.

قال: فقلت: بأبي أنت وأُمّي ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم.

قال: فقال رسول الله ﷺ أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين، فإن شئت فخذها وإن شئت فخذ المائة وكن مع أهل المائة.

قال: قلت: أشر عليَّ.

قال: إنّي آمرك أن تأخذ ما أعطاك رسول الله ﷺ وترضى.

قال: فإنّي أفعل(١).

وعن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: انّه جاء شاعر إلى النبي ﷺ فسأله وأطراه، فقال لبعض أصحابه: قم معه فاقطع لسانه، فخرج ثمّ رجع، فقال: يا رسول الله ﷺ اقطع لسانه؟

قال: إنّما أمرتك أن تقطع لسانه بالعطاء(٢).

مع اليهودي:

وهناك موقف آخر يدلّ على سماحة الرسول الأعظم ﷺ ومدى التزامه باللّاعنف قبال المتجاسرين عليه وحرصه الشديد على تربية المسلمين على هذا القانون العظيم.

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: دخل يهودي على رسول الله ﷺ وعائشة عنده، فقال: السام عليكم!.

فقال رسول الله ﷺ: عليكم.

ثمّ دخل آخر فقال مثل ذلك.

فردّ عليه كما ردّ على صاحبه.

ثمّ دخل آخر فقال مثل ذلك.

فردّ رسول الله ﷺ كما ردّ على صاحبيه.

فغضبت عائشة، فقالت: عليكم السام والغضب واللعنة يا معشر اليهود يا إخوة القردة والخنازير.

---

(١) بحار الأنوار: ج٢١ ص١٦٠ ـ ١٦١ ب٢٨.

(٢) دعائم الإسلام: ج٢ ص٣٢٣ كتاب العطايا ف٢ ح١٢١٩.

فقال لها رسول الله ﷺ: يا عائشة إنّ الفحش لو كان ممثلا لكان مثال سوء، إنّ الرفق لم يوضع على شيء إلاّ زانه، ولم يرفع عنه قطّ إلاّ شانه.

فقالت: يا رسول الله ﷺ، أما سمعت إلى قولهم السام عليكم؟

فقال: بلى، أما سمعت ما رددت عليهم (عليكم) فإذا سلّم عليكم مسلم فقولوا سلام عليكم، وإذا سلّم عليكم كافر فقولوا عليك[1].

وقد ذكرنا حكم السلام على الكافر في الفقه[2].

مهلاً يا قنبر:

عن جابر قال: سمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رجلاً يشتم قنبراً وقد رام قنبر أن يردّ عليه، فناداه أمير المؤمنين عليه السلام قائلا: مهلا ياقنبر، دع شاتمك مهاناً ترضي الرحمان وتسخط الشيطان، وتعاقب عدوّك، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمن ربّه بمثل الحلم، ولا أسخط الشيطان بمثل الصمت، ولا عوقب الأحمق بمثل السكوت عنه[3].

إسمعوا ردّي عليه:

هناك درس آخر يدلّ بوضوح على أنّ أهل بيت الرسالة عليهم السلام إنّما يعمدون إلى هكذا مواقف لعظمتهم ومدى فنائهم في ذات الله أوّلا، ولتعليم الآخرين على اللين والرحمة والتمسّك باللاّعنف في شتّى مجالات الحياة ثانياً.

---

(١) الكافي: ج٢ ص٦٤٨ باب التسليم على أهل الملل ح١.

(٢) انظر كتاب: (رسالة في التحية والسلام) و(الفقه: مسائل السلام) للإمام الشيرازي (قدس سره الشريف).

(٣) أمالي الشيخ المفيد: ص١١٨ المجلس ١٤ ح٢.

فهذا الإمام علي بن الحسين عليه السلام ـ كما روى الشيخ المفيد رحمه الله ـ وقف على رجل فأسمعه الرجل وشتمه، فلم يكلّمه الإمام عليه السلام.

ولمّا انصرف قال الإمام عليه السلام لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل وأنا أُحبّ أن تبلغوا معي إليه حتّى تسمعوا منّي ردّي عليه.

فقالوا له: نفعل، ولقد كنّا نحبّ أن تقول له ونقول، قال: فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

فعلمنا انّه عليه السلام لا يقول له شيئاً.

قال: فخرج حتّى أتى منزل الرجل فصرخ به، فقال: قولوا له علي بن الحسين.

قال: فخرج إلينا متوثّباً للشرّ، وهو لا يشكّ انّه إنّما جاءه مكافياً له على بعض ما كان منه.

فقال له الإمام السجّاد عليه السلام: يا أخي إنّك كنت قد وقفت عليّ آنفاً فقلت وقلت، فإن كنت قد قلت ما فيّ فأنا أستغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيّ، فغفر الله لك.

قال الراوي: فقبّل الرجل بين عينيه، وقال: بلى قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحقّ به[2].

هل تعرف الصلاة؟

عن أبي حازم في خبر قال: قال رجل للإمام زين العابدين عليه السلام هل تعرف الصلاة؟

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٢) راجع الإرشاد للشيخ المفيد: ج٢ ص١٤٥ ـ ١٤٦ باب ذكر طرف من الأخبار لعلي ابن الحسين عليه السلام.

فحملت عليه، فقال عليه السلام: مهلا يا أبا حازم، فانّ العلماء هم الحلماء الرحماء ثمّ واجه السائل فقال: نعم أعرفها.

فسأله عن أفعالها وتروكها وفرائضها ونوافلها حتّى بلغ قوله: ما افتتاحها؟

قال: التكبير.

قال: ما برهانها؟

قال: القراءة.

قال: ما خشوعها؟

قال: النظر إلى موضع السجود.

قال: ما تحريمها؟

قال: التكبير.

قال: ما تحليلها؟

قال: التسليم.

قال: ما جوهرها؟

قال: التسبيح.

قال: ما شعارها؟

قال: التعقيب.

قال: ما تمامها؟

قال: الصلاة على محمّد وآل محمّد.

قال: ما سبب قبولها؟

قال: ولايتنا والبراءة من أعدائنا.

فقال: ما تركت لأحد حجّة.

ثمّ نهض يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته[١].

خاطبنا بمثل خطابه:

جاء في كتاب توحيد المفضّل: عن المفضّل انّه قال:

كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر وأنا مفكّر فيما خصّ الله تعالى به سيّدنا محمّداً ﷺ من الشرف والفضائل...

إذ أقبل ابن أبي العوجاء ـ ثمّ تكلّم بكلمات الكفر ـ فلم أملك نفسي غضباً وغيضاً وحنقاً، فقلت: يا عدوّ الله ألحدت في دين الله وأنكرت الباري جلّ قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم وصوّرك في أتمّ صورة ونقلك في أحوالك حتّى بلغ إلى حيث انتهيت...

فقال: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلّمناك، فإن ثبت لك حجّة تبعناك وإن لم تكن منهم فلا كلام لك، وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمّد الصادق فما هكذا تخاطبنا، ولا بمثل دليلك تجادل فينا، ولقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعت فما أفحش في خطابنا ولا تعدّى في جوابنا، وانّه الحليم الرزين العاقل الرصين، لا يعتريه خرق في جوابنا، ولا طيش ولا نزق، يسمع كلامنا ويصغي إلينا، ويتعرّف حجّتنا حتّى إذا استفرغنا ما عندنا وظننا إنّا قطعناه دحض حجّتنا بكلام يسير وخطاب قصير، يلزمنا به الحجّة ويقطع العذر ولا نستطيع لجوابه ردّاً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٨١ ص٢٤٤ ـ ٢٤٥ ب١٦ ح٣٥.

(٢) توحيد المفضّل: ص٣٩ محاورة المفضل مع ابن أبي العوجاء.

إنّهم تربّوا على اللّاعنف

في رحاب مدرسة الرسول الأكرم ﷺ وتحت أكناف الأئمّة الطاهرين عليهم السلام نشأ العديد من القادة الأبرار والعلماء الأخيار الذين ملؤوا الدنيا بفضائلهم وكراماتهم وأخلاقياتهم الفاضلة.

ففي عهد كلّ معصوم تجد أنّ هناك الحواريين الذين أحدقوا بهم وجعلوا ينهلون من معين معارفهم ويقتبسون من بحر فضائلهم ويسيرون في سيرتهم على طريقة أئمّتهم الأطهار عليهم السلام الذين طالما لقّنوهم دروسهم العملية في الدعوة إلى الإسلام عبر القول والعمل..

ومن تلك الدروس المهمّة التي تلقّاها الصفوة من حواري الأئمّة عليهم السلام هي مسألة اللين وعدم ردّ الاساءة بمثلها والتأكيد على اللّاعنف في التعامل مع الآخرين، نشير إلى بعضها.

مَن أنت وما أنت؟

روى المفضّل عن الإمام الصادق عليه السلام انّه قال: وقع بين سلمان الفارسي (رضوان الله عليه) وبين رجل خصومة، فقال الرجل لسلمان: من أنت وما أنت؟

فقال سلمان: أما أوّلي وأوّلك فنطفة قذرة، وأمّا آخري وآخرك

فجيفة منتنة، فإذا كان يوم القيامة ونصبت الموازين فمن ثقلت موازينه فهو الكريم ومن خفّت موازينه فهو اللئيم[1].

دخل المسجد ليدعو له:

وروي أنّ مالك الأشتر (رضوان الله عليه) كان مجتازاً بسوق وعليه قميص خامّ وعمامة منه، فرآه بعض السوقة فأزرى بزيّه فرماه ببابه تهاوناً.

فمضى الأشتر ولم يلتفت.

فقيل للرجل: ويلك تعرف لمن رميت؟.

فقال: لا.

فقيل له: هذا مالك صاحب أمير المؤمنين عليه السلام.

فارتعد الرجل ومضى ليعتذر إليه وقد دخل مسجداً وهو قائم يصلّي، فلمّا انفتل انكبّ الرجل على قدميه يقبّلهما.

فقال: ما هذا الأمر؟

فقال: أعتذر إليك ممّا صنعت.

فقال: لا بأس عليك، فوالله ما دخلت المسجد إلاّ لأستغفرن لك[2].

إتّق الله ولا تعجل:

عن جرير بن مرازم قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي أُريد العمرة فأوصني.

فقال: اتّق الله، ولا تعجل.

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٤٠٤ باب ومن الفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة التي لم يسبق إليها ح٥٨٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٢ ص١٥٧ ب١٢٤ ح٢٥.

فقلت: أوصني!

فلم يزدني على هذا.

فخرجت من عنده من المدينة، فلقيني رجل شامي يريد مكّة فصحبني، وكان معي سفرة فأخرجتها وأخرج سفرته وجعلنا نأكل، فذكر أهل البصرة فشتمهم، ثمّ ذكر أهل الكوفة فشتمهم، ثمّ ذكر الصادق عليه السلام فوقع فيه.

فأردت أن أرفع يدي فأُهشّم أنفه، وأُحدّث نفسي بقتله أحياناً، فجعلت أتذكّر قوله عليه السلام: «اتّق الله ولا تعجل» وأنا أسمع شتمه، فلم أعدُ ما أمرني[1].

موقف آخر:

وهناك موقف آخر من مرازم المذكور يدلّ على أنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام تربي أفرادها على مبدأ اللين واللّاعنف.

ففي بعض الأيّام كان مرازم عند الإمام الصادق عليه السلام وهو بمكّة فقال عليه السلام له: يامرازم! لو سمعت رجلا يسبّني ما كنت صانعاً؟

قال: قلت: كنت أقتله.

قال عليه السلام: يامرازم! إن سمعت من يسبّني فلا تصنع به شيئاً.

قال: فخرجت من مكّة عند الزوال في يوم حارّ، فألجأني الحرُّ إلى أن صرت إلى بعض القباب وفيها قوم، فنزلت معهم، فسمعت بعضهم يسبّ أبا عبد الله عليه السلام، فذكرت قوله، فلم أقل شيئاً، ولولا ذلك لقتلته[2].

---

(١) العوالم: ج٢٠ ص١٣٣ ح١.

(٢) العوالم: ج٢٠ ص١٣٤ ح٢.

فصل

أسباب العنف

العنف وأسبابه

كما دعا الإسلام العزيز إلى اللين واللاعنف في شتّى المجالات، فهو في نفس الوقت أكّد على تجنّب دواعي العنف وأسبابه الرئيسية التي غالباً ما تؤدّي إلى فساد العباد ودمار البلاد.

وحيث إنّ الإسلام يروم للبشرية سعادتها الأبدية التي لا تتحقّق إلاّ تحت ظلال اللين واللاعنف، فإنّه ـ الإسلام ـ أخذ يحذّر بشدّة من أسباب العنف والبطش التي لا تجني البشرية منها سوى الويل والضياع.

فمن أبرز تلك الأسباب المولّدة للعنف الصفات الذميمة التي ورد النهي عنها: كالغضب، والحسد، والعصبية، والبغي، والحقد، والغيبة والنميمة، والتنابز بالألقاب وما أشبه.

الغضب مفتاح كلّ شرّ

على رأس الأُمور التي تجعل الإنسان يفقد صوابه ويهوي في أوحال العنف ويتخبّط في متاهاته هو الغضب والانفعال الشديد الذي غالباً ما يسوق الإنسان إلى أُمور لا تحمد عقباها..

فعندما يتخلّى الإنسان عن عقله ويترك المجال للغضب حتى يستولي على كامل قواه، فإنّه حينذاك يضلّ جادّة الصواب ويتيه في سبل الضياع فيصل في نهاية المطاف إلى نتائج سلبية لا يحصد منها سوى الآهات والحسرات.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله: يا رسول الله صلى الله عليه وآله علّمني.

قال صلى الله عليه وآله: اذهب ولا تغضب.

فقال الرجل: قد اكتفيت بذاك.

فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفاً ولبسوا السلاح، فلمّا رأى ذلك لبس سلاحه ثمّ قام معهم، ثمّ ذكر قول الرسول صلى الله عليه وآله: لا تغضب، فرمى السلاح ثمّ جاء يمشي إلى القوم الذين هم عدوّ قومه، فقال: يا هؤلاء ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعليّ في مالي أنا أوفيكموه.

فقال القوم: فما كان فهو لكم نحن أولى بذلك منكم.

قال: فاصطلح القوم وذهب الغضب»[1].

ومن هنا فإنّ النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام حثّوا الناس على عدم الغضب وذمّوا الغضب وأهله في أحاديثهم الشريفة.

ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخلّ العسل»[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وإنّ أحدكم إذا غضب احمّرت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض، فإنّ رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك»[3].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٠٤ باب الغضب ح١١.
(٢) الكافي: ج٢ ص٣٠٢ باب الغضب ح١.
(٣) الكافي: ج٢ ص٣٠٤ ـ ٣٠٥ باب الغضب ح١٢.

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «من كفّ غضبه عن الناس كفّ الله عنه عذاب يوم القيامة»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما لإبليس جند أعظم من النساء والغضب»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعت أبي يقول: أتى رسول الله صلى الله عليه وآله رجل بدوي فقال: إنّي أسكن البادية فعلّمني جوامع الكلم، فقال: «آمرك أن لا تغضب».

فأعاد عليه الأعرابي المسألة ثلاث مرّات حتّى رجع الرجل إلى نفسه، فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ بالخير.

قال: وكان أبي عليه السلام يقول: «أي شيء أشدّ من الغضب، إنّ الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرّم الله ويقذف المحصنة» [3].

وعن علي بن الحسين عليه السلام قال: «مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بقوم يتشايلون حجراً، فقال: ما هذا؟

فقالوا: نختبر أشدّنا وأقوانا.

فقال: ألا أُخبركم بأشدّكم وأقواكم؟

قالوا: بلى يا رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال: أشدّكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه من قول الحقّ وإذا ملك لم يتعاط ما ليس له بحقّ»[4].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٠٥ باب الغضب ح١٥.
(٢) الكافي: ج٥ ص٥١٥ باب قلة الصلاح في النساء ح٥.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٥٩ ب٥٣ ح٢٠٧٣٧.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٦١ ب٥٣ ح٢٠٧٤٤.

وقال النبي ﷺ: «الغضب جمرة من الشيطان»، وقال إبليس عليه اللعنة: الغضب رهقي ومصيادي وبه أصدّ خيار الخلق عن الجنّة وطريقها[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «الغضب شرّ إن أطعته دمّر»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إيّاك والغضب فأوّله جنون وآخره ندم»[3].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «بئس القرين الغضب يبدي المعائب ويدني الشرّ ويباعد الخير»[4].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «الغضب ممحقة لقلب الحكيم. وقال عليه السلام: من لم يملك غضبه لم يملك عقله»[5]

الحسد طريق الضياع

مثلما يأخذ الغضب بيد الإنسان نحو الهاوية كذلك هو الحسد، فهو لا يقلّ خطورة على حياة البشرية من الغضب..

فإذا أتاح الإنسان المضمار للحسد كي يستولي على نفسه وعقله وراح ينظر إلى الآخرين بالعين المريضة فإنّ حياته يوماً بعد آخر تتحوّل من السعادة إلى الجحيم.

ومن المسلّم أنّ الإنسان المبتلى بهكذا داء فتّاك إذا لم يتدارك نفسه

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٩ ب٥٣ ح١٣٣٦٧.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٢ ب٥٣ ح١٣٣٧٦.
(٣) مستدرك الوسائل: ج١٢ ب٥٣ ص١٢ ح١٣٣٧٦.
(٤) مستدرك الوسائل: ج١٢ ب٥٣ ص١٣ ح١٣٣٧٦.
(٥) الكافي: ج٢ ص٣٠٥ باب الغضب ح١٣.

ويخلّصها منه فإنّه في آخر المطاف يلوذ عادة إلى العنف والقوة في تعامله مع الآخرين.

ولعلّ القصّة التالية هي خير شاهد على ذلك، فقد نقل العلاّمة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار:

انّ رجلا من أهل النعمة ببغداد في أيّام موسى الهادي حسد بعض جيرانه وسعى عليه بكلّ ما يمكنه فما قدر عليه، فاشترى غلاماً صغيراً فربّاه، فلمّا شبّ واشتدّ أمره، أَمَرَهُ بأن يقتله على سطح جاره المحسود ليؤخذ جاره به ويُقتل!.

وبالفعل فقد عمد إلى سكّين فشحذها ودفعها إليه وأشهد على نفسه أنّه دبّره ودفع إليه من صلب ماله ثلاثة آلاف درهم وقال: إذا فعلت ذلك فخذ في أي بلاد الله شئت، فعزم الغلام على طاعة المولى بعد الامتناع والالتواء وقوله له: الله الله في نفسك يا مولاي وأن تتلفها للأمر الذي لا يدري أيكون أم لا يكون، فإن كان لم تر منه ما أمّلت وأنت ميّت.

قال: أراك عاصياً، وما أرضى حتّى تفعل ما أهوى.

فقال: إذا صحّ عزمك على ذلك فشأنك وما هويت، فلمّا كان في آخر ليلة من عمره قام وجه السحر وأيقظ الغلام فقام مذعوراً وأعطاه المدية وجاء حتّى تسوّر حائط جاره برفق فاضطجع على سطحه فاستقبل القبلة ببدنه وقال للغلام: ها وعجّل.

فترك السكّين على حلقه وفرى أوداجه ورجع إلى مضجعه وخلاّه يتشحّط في دمه، فلمّا أصبح أهله خفي عليهم خبره، فلمّا كان في آخر النهار أصابوه على سطح جاره مقتولا.

فأُخذ جاره فحبس، ولمّا ظهر الحال أمر الهادي بإطلاقه[1].

قال الإمام الصادق عليه السلام: «الحاسد يضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود، كإبليس أورث بحسده لنفسه اللعنة ولآدم الاجتباء والهدى والرفع إلى محلّ حقائق العهد والاصطفاء، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً، فإنّ ميزان الحاسد أبداً خفيف بثقل الميزان المحسود والرزق مقسوم، فماذا ينفع الحسد الحاسد؟ وماذا يضرّ المحسود الحسد؟ والحسد أصله من عمى القلب والجحود بفضل الله تعالى وهما جناحان للكفر، وبالحسد وقع ابن آدم في حسرة الأبد وهلك مهلكاً لا ينجو منه أبداً، ولا توبة لحاسد لأنّه مصرّ عليه معتقد به مطبوع فيه يبدو بلا معارض له ولا سبب، والطبع لا يتغيّر عن الأصل وإن عولج»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لمّا هبط نوح عليه السلام من السفينة أتاه إبليس فقال له: ما في الأرض رجل أعظم منّة عليَّ منك، دعوت الله على هؤلاء الفسّاق فأرحتني منهم، ألا أُعلّمك خصلتين إيّاك والحسد فهو الذي عمل بي ما عمل، وإيّاك والحرص فهو الذي عمل بآدم ما عمل»[3].

وقد ذمّت الروايات بشدّة الحسد وأهله حيث جاء:

عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: «إنّ الرجل ليأتي بأي بادرة فيكفر، وإنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»[4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»[5].

---

(١) راجع بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٥٩ ب١٣١.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٨ ب٥٥ ح١٣٣٩٠.
(٣) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٨ ب٥٥ ح١٣٣٩١.
(٤) الكافي: ج٢ ص٣٠٦ باب الحسد ح١.
(٥) الكافي: ج٢ ص٣٠٦ باب الحسد ح٢.

وقال رسول الله ﷺ ذات يوم لأصحابه: «ألا انّه قد دبّ إليكم داء من قبلكم وهو الحسد، ليس بحالق الشعر لكنّه حالق الدين، وينجي فيه أن يكفّ الإنسان يده ويخزن لسانه ولا يكون ذا غمر(١) على أخيه المؤمن»(٢).

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط»(٣).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «أُصول الكفر ثلاثة: الحرص والاستكبار والحسد»(٤).

وقال رسول الله ﷺ في خطبته يوم الغدير: «معاشر الناس إنّ إبليس أخرج آدم من الجنّة بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزلّ أقدامكم، فإنّ آدم أُهبط إلى الأرض لخطيئة واحدة، وإنّ الملعون حسده على الشجرة، وهو صفوة الله عز وجل فكيف بكم وأنتم أنتم»(٥).

العصبية

فور ما بعث رسول الإنسانية ﷺ إلى الناس شرع بمحاربة الأخلاق والطبائع الجاهلية التي غالباً ما كانت تسوق الناس نحو العنف والمشاحنات الطويلة التي لم يجن منها المجتمع سوى الويل والدمار.

ومن تلك الطبائع الجاهلية المذمومة التي سلّط الإسلام عليها

---

(١) الغمر: الحقد والغل. الصحاح للجوهري: ج٢ ص٧٧٣، مادّة غمر.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٦٧ ب٥٥ ح٢٠٧٦٨.
(٣) الكافي: ج٢ ص٣٠٧ باب الحسد ح٧.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٦٧ ب٥٥ ح٢٠٧٦٥.
(٥) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٦ ب٥٥ ح١٣٣٨٥.

الأضواء وعكف الرسول ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام على محاربتها هي العصبية والحميّة الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان.

ففي العهد الجاهلي كانت الحميّة والتعصّب العنصري هما الحاكمان على رقاب الناس، الأمر الذي غالباً ما كان يجلب لهم الحروب والمشاجرات الدامية التي يذهب ضحيّتها العديد من الأبرياء.

وامتدّت هذه الحالة عند البعض حتّى بعد اعتناقه للإسلام الداعي إلى نبذ الأخلاق الجاهلية المربيّة على الفضاضة والعنف.

وفي التاريخ أنه حدث بعض المشادة في الكلام بين الأوس والخزرج في قصة الأفك المشهورة، فقام سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك.

وقام سعد بن عبادة وهو سيّد الخزرج وكان رجلا صالحاً ولكن اجتهلته الحميّة، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله.

فقام أسيد بن حضير وهو ابن عمّ سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: لعمر الله لنقتله، فإنّك منافق تجادل عن المنافقين.

فثار الحيّان الأوس والخزرج حتّى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفّضهم حتّى سكتوا وسكت[١].

من هنا فانّ الإسلام وضمن منهجيته الداعية إلى اللين واللاعنف ظلّ يؤكّد بكلّ حثاثة على نبذ العصبية والحمية الجاهلية.

---

(١) راجع الطرائف: ج٢ ص٣٨٦.

قال أبو عبد الله عليه السلام: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتعوّذ في كلّ يوم من ست: من الشكّ، والشرك، والحمية، والغضب، والبغي، والحسد»[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أهلك الناس اثنان: خوف الفقر وطلب الفخر»[٢].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «ثلاثة من عمل الجاهلية: الفخر بالأنساب، والطعن في الأحساب، والاستسقاء بالأنواء»[٣].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من تعصّب عصّبه الله عز وجل بعصابة من نار»[٤].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان في قلبه حبّة من خردل من عصبية بعثه الله تعالى يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»[٥].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ثلاث إذا كنّ في المرء فلا تتحرّج أن تقول انّه في جهنّم: البذاء والخيلاء والفخر»[٦].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ الله عز وجل يعذّب ستّة بستّ: العرب بالعصبية، والدهاقنة بالكبر، والأمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجّار بالخيانة ، وأهل الرستاق بالجهل»[٧].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٨٩ ب١٣٣ ح٨.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٩٠ ب١٣٣ ح١٢.
(٣) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٩١ ب١٣٣ ح١٥.
(٤) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٩١ ب١٣٣ ح١٨.
(٥) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٨٤ ب١٣٣ ح٢.
(٦) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٩٢ ب١٣٣ ح٢١.
(٧) بحار الأنوار: ج٧٠ ص٢٨٩ ب١٣٣ ح٩.

النفاق والعنف

إحدى العلائم الواضحة التي تميّز شخصيات المنافقين على مرّ التاريخ هو ميلهم الشديد إلى العنف ودأبهم المستمرّ على خلق الفتن وإشعال نيران الحروب الطاحنة التي عادة ما كان يذهب ضحيتها العديد من الأبرياء.

•

ففي صدر الإسلام عكف المنافقون بكلّ ما أُوتوا من قوّة من أجل صدّ منهجية الرسول ﷺ الداعية إلى اللين واللاعنف وذلك عبر إفشاء الحروب العنيفة التي كانت تشغل المسلمين وتستنزف طاقاتهم.

وقد بقي المنافقون يعملون ليل نهار من أجل إفشاء العنف والبطش بين أوساط المسلمين علّهم يوفّقون إلى زعزعة كيان الدولة الإسلامية التي أقامها رسول الله ﷺ على كيان اللاعنف.

لذلك، فانّهم عمدوا إلى اغتيال الرسول الأعظم ﷺ عبر خطّة مدبّرة تآمر عليها جمع من المنافقين، ولكن رسول الله ﷺ لم يعاقبهم، وتغاضى عنهم.

يقول أبو الأسود عن عروة قال: لمّا رجع رسول الله ﷺ قافلا من تبوك إلى المدينة حتّى إذا كان ببعض الطريق مكر به ناس من أصحابه، فتآمروا أن يطرحوه من عقبة في الطريق أرادوا أن يسلكوها معه، فأُخبر رسول الله ﷺ بخبرهم، فقال ﷺ: من شاء منكم أن يأخذ بطن الوادي فإنّه أوسع لكم.

فأخذ النبي ﷺ العقبة، وأخذ الناس بطن الوادي إلاّ النفر الذين أرادوا المكر به، فاستعدّوا وتلثّموا.

وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمّار بن ياسر فمشيا معه

مشياً، وأمر عمّاراً أن يأخذ بزمام الناقة، وأمر حذيفة بسوقها، فبيناهم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه.

فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة أن يراهم، فرجع ومعه محجن فاستقبل وجوه رواحلهم وضربها ضرباً بالمحجن، وأبصر القوم وهم متلثّمون.

فرعبهم الله حين أبصروا حذيفة وظنّوا أنّ مكرهم قد ظهر عليه، فأسرعوا حتّى خالطوا الناس، وأقبل حذيفة حتّى أدرك رسول الله ﷺ.

فلمّا أدركه قال ﷺ: اضرب الراحلة يا حذيفة، وامش أنت يا عمّار فأسرعوا فخرجوا من العقبة ينتظرون الناس.

فقال النبي ﷺ: يا حذيفة هل عرفت من هؤلاء الرهط أو الركب أحداً؟

فقال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان، وكانت ظلمة الليل غشيتهم وهم متلثّمون.

فقال ﷺ: هل علمتم ما شأن الركب وما أرادوا؟

قالوا: لا يا رسول الله.

قال: فانّهم مكروا ليسيروا معي حتّى إذا أظلمت بي العقبة طرحوني منها.

فقالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله إذا جاؤوك الناس فتضرب أعناقهم؟

قال: أكره أن يتحدّث الناس ويقولون: إنّ محمّداً قد وضع يده في أصحابه، فسمّاهم لهما ثمّ قال: اكتماهم[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢١ ص٢٤٧ ب٢٩.

وقد وردت الآيات والروايات تذم بشدّة هذه الخصلة المذمومة، خصلة النفاق وما يتبعها، قال تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[1].

وقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام المنافقين في خطبة له فقال: «أُوصيكم عباد الله بتقوى الله وأُحذّركم أهل النفاق، فإنّهم الضالّون المضلّون، والزالّون المزلّون، يتلوّنون ألواناً، ويفتنون افتناناً، ويعمدونكم بكلّ عماد، ويرصدونكم بكلّ مرصاد، قلوبهم دويّة، وصفاحهم نقيّة، يمشون الخفاء، ويدبّون الضرّاء وصفهم دواء وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء، حسدة الرخاء، ومؤكّدوا البلاء، ومقنطوا الرجاء، لهم بكلّ طريق صريع، وإلى كلّ قلب شفيع، ولكلّ شجو دموع يتقارضون الثناء، ويتراقبون الجزاء، إن سألوا ألحفوا، وإن عذلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا»[2].

وعن محمّد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: كتبت إليه أسأله عن مسألة فكتب إليّ إنّ الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿سَبِيلًا﴾[3] ليسوا من عترة رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

(١) سورة البقرة: ٨ ـ ١٣.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٤، ومن خطبة له عليه السلام يصف المنافقين.

(٣) سورة النساء: ١٤٢-١٤٣.

وليسوا من المؤمنين، وليسوا من المسلمين، يظهرون الإيمان ويسرّون الكفر والتكذيب لعنهم الله[1].

وقال رسول الله ﷺ: «خُلّتان لا تجتمعان في منافق: فقه في الإسلام، وحسن سمت في الوجه»[2].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أربع من علامات النفاق: قساوة القلب، وجمود العين، والإصرار على الذنب، والحرص على الدنيا»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦٩ ص١٧٥ ب١٠٣ ح١.
(٢) بحار الأنوار: ج٦٩ ص١٧٦ ب١٠٣ ح٢.
(٣) بحار الأنوار: ج٦٩ ص١٧٦ ب١٠٣ ح٤.

فصل

اللاعنف في المجتمع

المجتمع الإسلامي واللاعنف

أعوام طويلة والمجتمع الجاهلي يئنّ من ويلات العنف ومآسي البطش الذي يصبّه عليه أوباش المشركين ممّن لم تعرف الرأفة والرحمة إلى قلوبهم سبيلا.

فقد كانت الحرب الضروس والغارات الدامية هي الشغل الشاغل للناس آنذاك، فلا تكاد تنقضي فترة من الزمن تخلو من المناوشات المشجية والحروب الطاحنة التي عادةً ما كان يذهب ضحيّتها المئات من الأبرياء.

في مثل تلك الظروف الحالكة ومع تأزّم أوضاع الناس جاء الإسلام العزيز ونادى باللاعنف في المجتمع ودعا إلى اللين في التعامل السلمي الاجتماعي..

فكيف كانت دعوة الإسلام إلى اللاعنف في المجتمع؟

وما هي آثار هذه الدعوة؟

هذا ما سيأتي البحث عنه في المباحث الآتية بإذن الله تعالى.

اللاعنف مع الأفراد

كما هي عادة الإسلام العزيز إزاء أيّة مشكلة، فهو يطرح الحلّ الجذري لها ويتناول كلّ شاردة وواردة تتعلّق بها.

والسؤال هنا: ما هي حلول الإسلام مقابل مشكلة العنف والقوة التي ألفها المجتمع الجاهلي وعاش تحت تأثيراتها؟

الجواب: لقد عمد الإسلام إلى تربية أفراد المجتمع وإعدادهم بالشكل المؤاتي بحيث أصبح الكثير منهم آية في اللين والرفق حتّى مع ألدّ مناوئيه، وقد تطرّقنا إلى بعض شواهد ذلك(١).

فقد شدّد الرسول الأكرم ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام في تأكيداتهم على مسألة اللين واللاعنف مع الأفراد حتّى أنّهم راحوا يتّخذون المواقف الحكيمة إزاء كلّ من يتجاسر على الآخرين ويضايق حرّياتهم عبر العنف وما شابه.

لا ضرر ولا ضرار:

فعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ سمرة بن جندب كان له عذق في حائط لرجل من الأنصار، وكان منزل الأنصاري بباب البستان، وكان يمرّ به إلى نخلته ولا يستأذن، فكلّمه الأنصاري أن يستأذن إذا جاء، فأبى سمرة، فلمّا تأبّى جاء الأنصاري إلى رسول الله ﷺ فشكا إليه وأخبره الخبر.

فأرسل إليه رسول الله ﷺ وخبّره بقول الأنصاري، وما شكا وقال: إن أردت الدخول فاستأذن.

فأبى.

فلمّا أبى، ساومه حتّى بلغ به من الثمن ما شاء الله.

فأبى أن يبيع.

فقال ﷺ: لك بها عذق يمدّ في الجنّة.

---

(١) راجع التربية على اللاعنف.

فأبى أن يقبل.

فقال رسول الله ﷺ للأنصاري: اذهب فاقلعها وارم بها إليه فإنّه لا ضرر ولا ضرار»[1].

لا تضرّ أخاك المؤمن:

ومما يدل على ما ذكرنا من نبذ العنف والضرر على الآخرين، ما ورد من أنّ محمّد بن الحسين قال: كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام: رجلٌ كانت له قناة في قرية فأراد رجل أن يحفر قناة أُخرى إلى قرية له، كم يكون بينهما في البعد حتّى لا يضرّ بالأُخرى في الأرض إذا كانت صلبة أو رخوة؟

فوقّع عليه السلام: على حسب أن لا يضرّ إحداهما بالأُخرى إن شاء الله.

وقال: كتبت إليه عليه السلام: رجل كانت له رحى على نهر قرية والقرية لرجل فأراد صاحب القرية أن يسوق إلى قريته الماء في غير هذا النهر ويعطّل هذه الرحى أله ذلك أم لا؟

فوقّع عليه السلام: يتّقي الله ويعمل في ذلك بالمعروف ولا يضرّ أخاه المؤمن[2].

وقد سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قوم كانت لهم عيون في أرض قريبة بعضها من بعض، فأراد الرجل أن يجعل عينه أسفل من موضعها التي كانت عليه بعض العيون، وإذا فعل ذلك أضرّ بالبقيّة من العيون وبعض لا يضرّ من شدّة الأرض؟

---

(١) الكافي: ج٥ ص٢٩٢ ـ ٢٩٣ باب الضرار ح٢.

(٢) الكافي: ج٥ ص٢٩٣ باب الضرار ح٥.

قال: فقال عليه السلام: ما كان في مكان شديد فلا يضرّ، وما كان في أرض رخوة بطحاء فإنّه يضرّ.

وإن عرض على جاره أن يضع عينه كما وضعها وهو على مقدار واحد؟

قال عليه السلام: إن تراضيا فلا يضرّ، وقال: يكون بين العينين ألف ذراع[1].

اللاعنف مع الصغار

من مصاديق التربية الاجتماعية على اللاعنف: الروايات الشريفة التي يستفاد منها أنّ الإسلام يحرص بشدّة على رحم الصغار والعطف عليهم.

ففي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله انّه قال: «ليس منّا من لم يوقّر كبيرنا ويرحم صغيرنا»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقّر كبيرنا ولم يأمر بالمعروف وينه عن المنكر»[3].

وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «.. وحقّ الصغير رحمته في تعليمه والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له»[4].

اللاعنف مع الكبار

مقابل تأكيدات الشارع المقدّس على رحم الصغار والتعامل باللاعنف معهم فقد دعت الكثير من الأخبار إلى توقير الكبار والتعامل

---

(١) الكافي: ج٥ ص٢٩٣ باب الضرار ح٣.

(٢) الكافي: ج٢ ص١٦٥ باب إجلال الكبير ح٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٨٥ ب١ ح١٣٨٣٦.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٦٢٥ باب الحقوق ح٣٢١٤.

باللاعنف واللين معهم سيّما الطاعنين منهم في السنّ ممّن قد ذهبت قواهم وضعفت حيلتهم في هذه الحياة الدنيا.

ففي الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «عظّموا كبراءكم، وصلوا أرحامكم، وليس تصلونهم بشيء أفضل من كفّ الأذى عنهم»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «وقّروا كباركم، يوقّركم صغاركم»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته لاستقبال شهر رمضان المبارك: «وقّروا كباركم وارحموا صغاركم»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من إجلال الله إجلال ذي الشيبة المسلم»[4].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عرف فضل شيخ كبير فوقّره لسنّه آمنه الله من فزع يوم القيامة».

وقال صلى الله عليه وآله: «من تعظيم الله عز وجل إجلال ذي الشيبة المؤمن»[5].

اللاعنف مع الأيتام

ومن مصاديق اللاعنف الاجتماعي في الإسلام التأكيد الكبير على رعاية الأيتام والفقراء والمساكين وذوي الحاجة والسعي في قضاء حوائجهم:

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٩٨ ب٦٧ ح١٥٧٤٥ وح١٥٧٤٦.
(٢) غرر الحكم: ص٤٨٢ ق٦ ب٦ ح١١١٣٢ متفرقات اجتماعي.
(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص٢٩٥ ب٢٨ ح٥٣.
(٤) الكافي: ج٢ ص١٦٥ باب إجلال الكبير ح١.
(٥) ثواب الأعمال، للشيخ الصدوق: ص١٨٩ ثواب من عرف فضل شيخ كبير فوقره.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس اليتيم ترحّماً له إلاّ كتب الله له بكلّ شعرة مرّت يده عليها حسنة»[1].

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: «ما من عبد يمسح يده على رأس يتيم رحمة له إلاّ أعطاه الله بكلّ شعرة نوراً يوم القيامة»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أنكر منكم قساوة قلبه فليدن يتيماً فيلاطفه وليمسح رأسه يلين قلبه بإذن الله»[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ اليتيم إذا بكى اهتزّ له العرش، فيقول الربُّ تبارك وتعالى: من هذا الذي أبكى عبدي الذي سلبته أبويه في صغره؟ فوعزّتي وجلالي لا يسكته أحد إلاّ أوجبت له الجنّة»[4].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حثّ الله عز وجل على برّ اليتامى لانقطاعهم عن آبائهم، فمن صانهم صانه الله، ومن أكرمهم أكرمه الله، ومن مسح يده برأس يتيم رفقاً به جعل الله له في الجنّة بكلّ شعرة مرّت تحت يده قصراً أوسع من الدنيا بما فيها، وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين، وهم فيها خالدون»[5].

قضاء الحوائج:

عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: «يا مفضل اسمع ما أقول لك واعلم أنه الحق وافعله وأخبر به علية إخوانك، قلت: جعلت فداك وما علية إخواني؟ قال: الراغبون في قضاء حوائج

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٤ ـ ٥ ب٣١ ح٩.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٥ ب٣١ ح١٠.
(٣) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٥ ب٣١ ح١١.
(٤) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٥ ب٣١ ح١٢.
(٥) بحار الأنوار: ج٧٢ ص١٢ ح٤٤.

إخوانهم، قال: ثم قال: ومن قضى لأخيه المؤمن حاجةً قضى الله عز وجل له يوم القيامة مائة ألف حاجة من ذلك أولها الجنة، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنة بعد أن لا يكونوا نصاباً وكان المفضل إذا سأل الحاجة أخاً من إخوانه قال له: أما تشتهي أن تكون من علية الإخوان»[1].

وعن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن الله عز وجل خلق خلقاً من خلقه انتجبهم لقضاء حوائج فقراء شيعتنا ليثيبهم على ذلك الجنة، فإن استطعت أن تكون منهم فكن، ثم قال: لنا والله رب نعبده لا نشرك به شيئاً»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قضاء حاجة المؤمن خير من عتق ألف رقبة وخير من حملان ألف فرس في سبيل الله»[3].

وعن أبي الصباح الكناني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «لقضاء حاجة امرئ مؤمن أحب إلى الله من عشرين حجةً كل حجة ينفق فيها صاحبها مائة ألف»[4].

وعن إسماعيل بن عمار الصيرفي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك المؤمن رحمة على المؤمن؟

قال: نعم.

قلت: وكيف ذاك؟

قال: «أيما مؤمن أتى أخاه في حاجة فإنما ذلك رحمة من الله ساقها إليه وسببها له، فإن قضى حاجته كان قد قبل الرحمة بقبولها، وإن

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٩٢ باب قضاء حاجة المؤمن ح١.
(٢) بحار الأنوار: ج٧١ ص٣٢٣ ب٢٠ ح٩١.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٧٣ ب٢٦ ح٢١٧٦٨.
(٤) الكافي: ج٢ ص١٩٣ باب قضاء حاجة المؤمن ح٤.

رده عن حاجته وهو يقدر على قضائها فإنما رد عن نفسه رحمة الله جل وعز ساقها إليه وسببها له وذخر الله عز وجل تلك الرحمة إلى يوم القيامة حتى يكون المردود عن حاجته هو الحاكم فيها إن شاء صرفها إلى نفسه وإن شاء صرفها إلى غيره، يا إسماعيل فإذا كان يوم القيامة وهو الحاكم في رحمة من الله قد شرعت له فإلى من ترى يصرفها؟

قلت: لا أظن يصرفها عن نفسه.

قال: «لا تظن ولكن استيقن فإنه لن يردها عن نفسه، يا إسماعيل من أتاه أخوه في حاجة يقدر على قضائها فلم يقضها له سلط الله عليه شجاعاً ينهش إبهامه في قبره إلى يوم القيامة مغفوراً له أو معذباً»[1].

وعن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في حديث: «وقضاء حاجة المؤمن أفضل من طواف وطواف حتى عد عشراً»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما قضى مسلم لمسلم حاجةً إلا ناداه الله تبارك وتعالى علي ثوابك ولا أرضى لك بدون الجنة»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب الله له ستة آلاف حسنة ومحا عنه ستة آلاف سيئة ورفع الله له ستة آلاف درجة حتى إذا كان عند الملتزم فتح له سبعة أبواب من أبواب الجنة.

قلت: جعلت فداك هذا الفضل كله في الطواف؟

قال: نعم، وأخبرك بأفضل من ذلك، قضاء حاجة المسلم أفضل من طواف وطواف حتى بلغ عشراً»[4].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧١ ص٣٢٤ ب٢٠ ح٩٤.
(٢) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٦٣ ب٢٦ ح٢١٧٧٠.
(٣) قرب الإسناد: ص١٩.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٦٤ ب٢٦ ح٢١٧٧١.

وروي انه «كان النبي ﷺ يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويأكل مع العبد، ويجلس على الأرض، ويركب الحمار ويردف، ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله، ويصافح الغني والفقير، ولا ينزع يده من يد أحد حتى ينزعها، ويسلم على من استقبله من كبير وصغير، وغني وفقير، ولا يحقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمرة، وكان خفيف المئونة، كريم الطبيعة، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بشاشاً من غير ضحك، محزوناً من غير عبوس، متواضعاً من غير مذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب، رحيماً بكل مسلم، ولم يتجشأ من شبع قط، ولم يمد يده إلى طمع، وكفاه مدحاً قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]»[2].

وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ: «أنه رأى ليلة الإسراء هذه الكلمات مكتوبةً على الباب الثاني من الجنة: لا إله إلا الله محمد رسول الله علي ولي الله، لكل شيء حيلة وحيلة السرور في الآخرة أربع خصال: مسح رأس اليتامى والتعطف على الأرامل والسعي في حوائج المؤمنين وتعهد الفقراء والمساكين»[3].

من حقوق المؤمن على أخيه:

ومن مصاديق اللاعنف الاجتماعي الإسلامي هو الحث الكبير على لزوم المحبة بين المؤمنين والتزاور بينهم، وقد جعلهم إخوة حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[4].

وعن شعيب العقرقوفي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول

(١) سورة القلم: ٤.
(٢) إرشاد القلوب: ج١ ص١١٥ ب٣٢.
(٣) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٤٧٤ ب٧٨ ح٢٤١١.
(٤) سورة الحجرات: ١٠.

لأصحابه: «اتقوا الله وكونوا إخوةً بررةً متحابين في الله متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»[(١)].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «تواصلوا وتباروا وتراحموا وكونوا إخوةً بررةً كما أمركم الله عز وجل»[(٢)].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره فيوكل الله عز وجل به ملكاً فيضع جناحاً في الأرض وجناحاً في السماء يظله، فإذا دخل إلى منزله نادى الجبار تبارك وتعالى: أيها العبد المعظم لحقي المتبع لآثار نبيي حق علي إعظامك، سلني أعطك، ادعني أجبك، اسكت أبتدؤك، فإذا انصرف شيعه الملك يظله بجناحه حتى يدخل إلى منزله ثم يناديه تبارك وتعالى: أيها العبد المعظم لحقي حق علي إكرامك قد أوجبت لك جنتي وشفعتك في عبادي»[(٣)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لزيارة المؤمن في الله خير من عتق عشر رقاب مؤمنات، ومن أعتق رقبةً مؤمنةً وقى كل عضو عضواً من النار حتى أن الفرج يقي الفرج»[(٤)].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقاء الإخوان مغنم جسيم وإن قلوا»[(٥)].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من سر مؤمناً فقد سرني ومن سرني فقد سر الله»[(٦)].

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٧٥ باب التراحم والتعاطف ح١.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢ ص٢١٦ ب١٢٤ ح١٦١٢٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٤ ص٥٨٩ ب٩٩ ح١٩٨٧٧.

(٤) الكافي: ج٢ ص١٧٨ باب زيارة الإخوان ح١٣.

(٥) بحار الأنوار: ج٧١ ص٣٥٠ ب٢١ ح١٦.

(٦) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص٣٩٤ ب٢٤ ح١٤٣٩٣.

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: «تبسم الرجل في وجه أخيه حسنة، وصرف القذى عنه حسنة، وما عبد الله بشيء أحب إلى الله من إدخال السرور على المؤمن»(١).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن أحب الأعمال إلى الله عز وجل إدخال السرور على المؤمن شبعة مسلم أو قضاء دينه»(٢).

وعن مفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً أنه عليه أدخله فقط، بل والله علينا، بل والله على رسول الله صلى الله عليه وآله»(٣).

اللاعنف مع الجار

ومن المسائل التي حظيت باعتناء الشارع المقدّس هي مسألة اللاعنف مع الجار، والحرص الشديد على أداء حقوقه التي طالما أكّدت عليها الروايات الشريفة.

ففي الحديث: «إنّهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتتصدّق وتؤذي جارها بلسانها، قال صلى الله عليه وآله: لا خير فيها هي من أهل النار، قالوا: وفلانة تصلّي المكتوبة وتصوم شهر رمضان ولا تؤذي جارها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هي من أهل الجنّة»(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من آذى جاره فقد آذاني، ومن حاربه فقد حاربني»(٥).

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٨٨ باب إدخال السرور على المؤمنين ح٢.
(٢) بحار الأنوار: ج٧١ ص٢٩٠ ب٢٠ ح٢٠.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٣٤٩ ب٢٤ ح٢١٧٣٥.
(٤) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٣ ب٧٢ ح٩٨٧٧.
(٥) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٤ ب٧٢ ح٩٨٧٩.

وقال ﷺ: «إذا ضربت كلب جارك فقد آذيته»[1].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ليس حسن الجوار كفّ الأذى، ولكن حسن الجوار صبرك على الأذى»[2].

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «المؤمن من آمن جاره بوائقه» قلت: ما بوائقه؟ قال: «ظلمه وغشّه»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «إنّ رسول الله ﷺ أتاه رجل من الأنصار، فقال: إنّي اشتريت داراً من بني فلان، وإنّ أقرب جيراني منّي جواراً من لا أرجو خيره ولا آمن شرّه قال: فأمر رسول الله ﷺ علياً وسلمان وأبا ذرّ .. أن ينادوا في المسجد بأعلى أصواتهم بأنّه: لا إيمان لمن لم يأمن جاره بوائقه، فنادوا بها ثلاثاً، ثمّ أومأ بيده إلى كلّ أربعين داراً من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «تحشر عشرة أصناف من أُمّتي أشتاتاً قد ميّزهم الله تعالى من بين المسلمين وبدّل صورهم، فبعضهم على صورة القردة» إلى أن قال ﷺ: «وبعضهم مقطّعة أيديهم وأرجلهم»، وساق الحديث إلى أن قال: «والمقطّعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران»[5].

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله فلا يؤذينّ جاره»[6].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٣ ب٧٢ ح٩٨٧٤.
(٢) مشكاة الأنوار: ص٢١٣ ب٤ ف١٠ في حق الجار.
(٣) مشكاة الأنوار: ص٢١٣ ب٤ ف١٠ في حق الجار.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٢٥ ب٨٦ ح١٥٨٣٧.
(٥) مستدرك الوسائل: ج٣ ص٤٦٩ ب٢٠ ح٤٠١٨.
(٦) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢١ ب٧٢ ح٩٨٦٥.

وقال ﷺ: «ليس يدخل الجنّة من يؤذي جاره ومن لم يأمن جاره بوائقه»[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ملعون ملعون من آذى جاره»[٢].

وعن النبي ﷺ قال: «من مات وله جيران ثلاثة كلّهم راضون عنه غُفِرَ له»[٣].

وقال ﷺ: «ما زال جبرائيل يوصيني بالجار حتّى ظننت أنّه يُورّث بشيء»[٤].

وقال ﷺ: «حرمة الجار على الجار كحرمة أُمّه»[٥].

وقال ﷺ: «من آذى جاره بقتار قدره فليس منّا»[٦].

وقال ﷺ: «من خان جاره بشبر من الأرض طوّقه الله يوم القيامة إلى الأرض السابعة حتّى يدخل النار»[٧].

وقال رسول الله ﷺ: «هل تدرون ما حقّ الجار؟ ما تدرون حقّ الجار إلاّ قليلا، ألا لا يؤمن بالله واليوم الآخر من لا يأمن جاره بوائقه، فإذا استقرضه أن يقرضه، وإذا أصابه شرّ عزّاه، لا يستطيل عليه في البناء يحجب عنه الريح إلاّ بإذنه، وإذا اشترى فاكهة فليهد له فإن لم يهد له فليدخلها سرّاً ولا يعطي صبيانه منها شيئاً يغايظون صبيانه، ثمّ قال رسول الله ﷺ: الجيران ثلاثة: فمنهم من له ثلاثة حقوق، حقّ

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢١ ب٧٢ ح٩٨٦٦.
(٢) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢١ ب٧٢ ح٩٨٦٧.
(٣) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٢ ب٧٢ ح٩٨٦٨.
(٤) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٢ ب٧٢ ح٩٨٦٩.
(٥) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٢ ب٧٢ ح٩٨٧٠.
(٦) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٢ ب٧٢ ح٩٨٧١.
(٧) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٢ ب٧٢ ح٩٨٧٢.

الإسلام وحقّ الجوار وحقّ القرابة، ومنهم من له حقّان، حقّ الإسلام وحقّ الجوار، ومنهم من له حقّ واحد، الكافر له حقّ الجوار»[1].

وعن النبي ﷺ قال: «إذا طبخت فأكثر المرق وقسّموا على الجيران، ومن آذى جاره فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»[2].

اللاعنف الأُسري

من أهم قواعد اللاعنف الاجتماعي الإسلامي هو التأكيد على اللاعنف في الأسرة، سواء بالنسبة إلى الزوجين أم الأولاد أم الأبوين أم سائر الأرحام والأقارب.

فإن الأُسر كانت في عهد الجاهلية الأُولى تئنّ من ويلات البطش والعنف الذي يصبّه بعض الرجال على عيالهم، فجاء الإسلام الحنيف ورفع قيود العنف من على الأُسر وأخذ يدعو إلى اللين والرفق في التعامل الأُسري، فالإسلام جاء وطرح أُسلوبه الإلهي في تنظيم الأُسرة، الأمر الذي أخذ بيدها نحو التكامل والسداد، والرأفة والمحبة، بعد أن كانت غارقة في أوحال الرذيلة والفساد، والخشونة والعنف . .

ففي العهد الجاهلي ـ وكما ورد في التاريخ ـ لم يكن هناك شيء اسمه النظام الأُسري بالشكل الصحيح، أو الحقوق المتبادلة بين أعضاء العائلة، وإنّما كانت أزمّة الأُمور قاطبة بيد الرجل وكان عادة خشناً في تعامله، عنيفاً في مواقفه، أما البقية فكانوا كالعبيد الذين لا مولى لهم ولا حامي يذود عن حقوقهم المهدورة.

ولعلّ خير شاهد على أنّ النظام الأُسري قبل الإسلام لم يكن

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٤ ب٧٢ ح٩٨٧٨.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٤٢٥ ب٧٢ ح٩٨٨٣.

يمتلك أيّة مبادئ أو قيم تقوده نحو الكمال هي مسألة وأد البنات وما كان يحلّ بالمرأة من امتهان للحقوق وسحق للكرامة.

بين الإسلام والجاهلية:

وبعد أن جاء الإسلام وأخرج الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الهداية حدثت في تاريخ الأُسر تحوّلات عظيمة على خلاف ما كانت عليه في العهد الجاهلي البائد.

ففي العهد الجاهلي كانت المرأة لا تمتلك أيّة حقوق وإنّما هي مجرّد آلة ووسيلة للاستمتاع وقضاء الوطر وما أشبه، أمّا بعد أن أشرقت شمس الإسلام فوق أرجاء الجزيرة العربية أصبحت المرأة تمتلك الكثير من الحقوق، نشير إلى بعضها:

الرأفة بها:

فضلا عن الحقوق الشرعية التي افترضها الشارع المقدّس للزوجة على الزوج، فإنّ هناك حقوقاً أُخرى أكّد عليها الإسلام بكلّ حثاثة، منها مسألة الرأفة بالزوجة والعفو عن أخطائها والتعامل معها بالتي هي أحسن، فإنّها ـ وكما تعبّر الروايات ـ ريحانة وليست بقهرمانة، وهي أسيرة المرء فلا يليق بها أن يكون الرجل عليها جبّاراً يمتهن حقوقها ويبطش بها كيف شاء وكما يشاء.

ففي الحديث عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: «... وأمّا حقّ الزوجة فأن تعلم أنّ الله عز وجل جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عز وجل عليك، فتكرمها وترفق بها وإن كان حقّك عليها أوجب، فإنّ لها عليك أن ترحمها لأنّها أسيرك، وتطعمها وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها»(١).

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٦٢١ باب الحقوق ح٣٢١٤.

وعن رسول الله ﷺ قال: «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتّى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر وقامت وأعتقت الرقاب وأنفقت الأموال في سبيل الله وكانت أوّل من ترد النار»، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «وعلى الرجل مثل ذلك الوزر والعذاب إذا كان لها مؤذياً، ومن صبر على سوء خُلُق امرأته واحتسبه أعطاه الله بكلّ مرّة يصبر عليها من الثواب مثل ما أعطى أيّوب على بلائه، وكان عليها من الوزر كلّ يوم وليلة مثل رمل عالج فإن مات قبل أن تعتبه وقبل أن يرضى عنها حشرت يوم القيامة منكوسة مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار، ومن كانت له امرأة لم توافقه وصبر على ما رزقه الله وشقّت عليه وحملته ما لم يقدر عليه لم يقبل الله لها حسنة تتّقي بها النار وغضب الله عليها ما دامت كذلك»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «اتّقوا الله في الضعيفين، يعني بذلك اليتيم والنساء»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «عيال الرجل أُسراؤه، وأحبّ العباد إلى الله عز وجل أحسنهم صنعاً إلى أُسرائه»[3].

الإحسان إليها:

فضلا عن الروايات الداعية إلى مطلق الإحسان إلى الإنسان رجلاً كان أو امرأة، مسلماً كان أو كافراً، فقد وردت روايات عديدة في الإحسان إلى الزوجة وعدم الإساءة إليها.

(١) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦٣ ب٨٢ ح٢٥٣١٥.
(٢) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٧٠ ب٨٨ ح٢٥٣٣١.
(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٥٥ باب النوادر ح٤٩٠٩.

فإنّ رسول الله ﷺ راح يوضّح للبشرية على مرّ التاريخ مَن هو خير الناس، فقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»[1].

وقال ﷺ: «ألا خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائي»[2].

وقال ﷺ: «أحسن الناس إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله وأنا ألطفكم بأهلي»[3].

مداراتها:

لا يخفى إنّ للمداراة أثراً كبيراً في حفظ النظام الأُسري، فالأُسرة التي تسودها المداراة تجدها غالباً ما تتجاوز المشاكل والمشاحنات . . . من هنا، فإنّ الروايات راحت تؤكّد على مسألة المداراة في الأُسرة خاصّة مع الزوجة.

فعن أبي عبد الله عليه السلام انّه قال: شكا رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام نسائه فقام عليه السلام خطيباً فقال في حديثه: «فداروهنّ على كلّ حال، وأحسنوا لهنّ المقال، لعلّهنّ يحسن الفعال»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «ومن صبر على خُلُق امرأة سيّئة الخُلُق واحتسب في ذلك الأجر أعطاه ثواب الشاكرين»[5].

المغفرة لها:

إنّ الإسلام أكّد على أن يتعامل الزوج مع زوجته باللين والرحمة وترك العنف وأساليبه، كما دعاه إلى التغاضي عن أخطائها والمغفرة لها

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٤٤٣ باب حق المرأة على الزوج ح٤٥٣٨.
(٢) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٧١ ب٨٨ ح٢٥٣٤٠.
(٣) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٥٣ ب١٠٤ ح١٥٩٢٨.
(٤) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٥٤ باب النوادر ح٤٩٠٠.
(٥) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٧٤ ب٩٠ ح٢٥٣٤٨.

حتّى وإن كانت سيّئة الخلق، فانّ اللاعنف واللين يقودانها في النهاية إلى التراجع نحو الخير والمحبة.

فعن إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما حقّ المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال: «يشبعها ويكسوها وإن جهلت غفر لها»(1).

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «كانت امرأة عند أبي تؤذيه فيغفر لها»(2).

لا يضربها:

ومن أبرز المصاديق الجليّة الدالّة على أنّ الإسلام يذمّ العنف في التعامل الأُسري هي تأكيداته الكثيرة الداعية إلى عدم التجاسر على الزوجة عبر الخشونة أو الضرب الذي يهدّ أركان الأُسرة ويذهب بمودّتها وصفائها.

فقد روي أنّ امرأة معاذ قالت: يا رسول الله، ما حقّ الزوجة على زوجها؟ قال صلى الله عليه وآله: «أن لا يضرب وجهها، ولا يقبّحها، وأن يطعمها ممّا يأكل ويلبسها ممّا يلبس ولا يهجرها»(3).

فضرب الزوجة من المحرمات الشرعية، أما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾(4)، فهذا تفسيره:

---

(1) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦٩ ب٨٨ ح٢٥٣٣٠.
(2) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٦٩ ب٨٨ ح٢٥٣٣٠.
(3) غوالي اللآلي: ج٢ ص١٤٢ المسلك الرابع ح٣٩٦.
(4) سورة النساء: ٣٤.

﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ﴾ من نشز إذا ارتفع، أي عصيانهن، فكأنها ارتفعت عن حدها ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ من الوعظ، بالنصح والإرشاد، وما أشبهها ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾ إن لم يفد الوعظ، والمضاجع جمع مضجع، وهو محل النوم وفراشه، وذلك بتحويل الظهر، أو بعزل فرشه عن فرشها ﴿وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ وفي بعض الأخبار أن الضرب بالسواك، ولا يخفى أن هذه المراتب بالتدرج، ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ﴾ ومن المقرر في الشريعة أن الإطاعة الواجبة على المرأة ليست إلا عدم الخروج بدون إذنه واستعدادها لتلبية الاستمتاعات متى أراد ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ أي لا تطلبوا لضررهن طريقاً، بإيذائهن وعدم القيام باللطف والعطف المترتب من الزوج، بل سامحوهن، فقد قال الرسول ﷺ: «إن من حق المرأة على الرجل أن يغفر لها إذا جهلت» ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا﴾ فلا يتعال عليه أحد بقوته ﴿كَبِيرًا﴾ فلا أكبر منه[1].

ومن هنا وصف رسول الله ﷺ بأن من يضرب أهله فإنه شر الرجال.

شرّ الرجال:

روي أنّ رسول الله ﷺ قال: «ألا أُخبركم بشرّ رجالكم؟

فقلنا: بلى.

فقال: إنّ من شرّ رجالكم البهّات البخيل الفاحش، الآكل وحده، المانع رفده، الضارب أهله وعبده، الملجئ عياله إلى غيره، العاقّ بوالديه»[2].

(١) راجع تفسير تقريب القرآن إلى الأذهان، لسماحة الإمام الشيرازي (قدس سره): ج٥ ص٢٦ ط١ سورة النساء الآية ٣٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص٣٤ ب٧ ح٢٤٩٥٨.

روايات أخرى:

مضافاً إلى عشرات الروايات الواردة في تكريم الأم والبنت والأخت ومن أشبه من النساء.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نعم الولد البنات ملطفات مجهزات مونسات مباركات مفليات»[1].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرأف منه على الذكور وما من رجل يدخل فرحةً على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرحه الله تعالى يوم القيامة»[2].

وعن الجارود بن المنذر قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «بلغني أنه ولد لك ابنة فتسخطها وما عليك منها ريحانة تشمها وقد كفيت رزقها وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بنات»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من عال ثلاث بنات أو ثلاث أخوات وجبت له الجنة.

فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله واثنتين؟

فقال: واثنتين.

فقيل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله وواحدةً؟

فقال: وواحدةً»[4].

وعن الحسن بن سعيد اللخمي قال: ولد لرجل من أصحابنا جارية فدخل على أبي عبد الله عليه السلام فرآه متسخطاً، فقال له أبو عبد

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٣٦٢ ب٤ ح٢٧٣٠٦.

(٢) الكافي: ج٦ ص٦ باب فضل البنات ح٧.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٤٨١ باب فضل الأولاد ح٤٦٩٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٣٦١ ب٤ ح٢٧٣٠٥.

الله عليه السلام: «أرأيت لو أن الله تبارك وتعالى أوحى إليك أن أختار لك أو تختار لنفسك ما كنت تقول؟

قال: كنت أقول يا رب تختار لي.

قال: فإن الله قد اختار لك.

قال: ثم قال: إن الغلام الذي قتله العالم الذي كان مع موسى عليه السلام وهو قول الله عز وجل ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[1] أبدلهما الله به جاريةً ولدت سبعين نبياً»[2].

وفي فقه الرضا عليه السلام: «واعلم أن حق الأم ألزم الحقوق وأوجب، لأنها حملت حيث لا يحمل أحد أحداً ووقت بالسمع والبصر وجميع الجوارح مسرورةً مستبشرةً بذلك فحملته بما فيه من المكروه الذي لا يصبر عليه أحد، ورضيت بأن تجوع ويشبع، وتظمأ ويروى، وتعرى ويكتسي، ويظل وتضحى، فليكن الشكر لها والبر والرفق بها على قدر ذلك، وإن كنتم لا تطيقون بأدنى حقها إلا بعون الله»[3].

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وآله: «إن والدتي بلغها الكبر وهي عندي الآن أحملها على ظهري وأطعمها من كسبي وأميط عنها الأذى بيدي وأصرف عنها مع ذلك وجهي استحياءً منها وإعظاماً لها، فهل كافأتها؟

قال: لا لأن بطنها كان لك وعاءً وثديها كان لك سقاءً وقدمها لك حذاءً ويدها لك وقاءً وحجرها لك حواءً وكانت تصنع ذلك لك وهي تمنى حياتك وأنت تصنع هذا بها وتحب مماتها»[4].

---

(١) سورة الكهف: ٨١.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١١٦ ب٤ ح١٧٧١١.
(٣) فقه الرضا عليه السلام: ص٣٣٤ ب٨٦.
(٤) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١٨٠ ب٧٠ ح١٧٩٣٢.

وعن النبي ﷺ أنه قال: «الجنة تحت أقدام الأمهات»[1].

قال ﷺ: «تحت أقدام الأمهات روضة من رياض الجنة»[2].

وقال ﷺ: «إذا كنت في صلاة التطوع فإن دعاك والدك فلا تقطعها وإن دعتك والدتك فاقطعها»[3].

وعن الباقر عليه السلام أنه قال: «قال موسى بن عمران عليه السلام: يا رب أوصني.

قال: أوصيك بي.

قال: فقال: رب أوصني.

قال: أوصيك بي، ثلاثاً.

قال: يا رب أوصني.

قال: أوصيك بأمك.

قال: رب أوصني.

قال: أوصيك بأمك.

قال: رب أوصني.

قال: أوصيك بأبيك.

قال: فكان يقال لأجل ذلك: إن للأم ثلثي البر وللأب الثلث»[4].

وعن الصادق عليه السلام قال: «جاء رجل وسأل النبي ﷺ عن بر

---

(١) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١٨٠ ب٧٠ ح١٧٩٣٣.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١٨٠ ب٧٠ ضمن ح١٧٩٣٣.
(٣) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١٨٠ ب٧٠ ضمن ح١٧٩٣٣.
(٤) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١٨١ ب٧٠ ح١٧٩٣٤.

الوالدين، فقال: ابرر أمك، ابرر أمك، ابرر أمك، ابرر أباك، ابرر أباك، ابرر أباك، وبدأ بالأم قبل الأب»[1].

وعن مهنى بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت للنبي ﷺ: «يا رسول الله ﷺ من أبرر؟

قال: أمك.

قلت: ثم من؟

قال: ثم أمك.

قلت: ثم من؟

قال: ثم أمك.

قلت: ثم من؟

قال: ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب»[2].

وقال رجل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟

قال: أمك.

قال: ثم من؟

قال: أمك.

قال: ثم من؟

قال: أبوك»[3].

وفي رواية أخرى: «أنه جعل ثلاثاً للأم والرابعة للأب»[4].

---

(١) الكافي: ج٢ ص١٦٢ باب البر بالوالدين ح١٧.

(٢) مشكاة الأنوار: ص١٥٩ ب٣ ف١٤.

(٣) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١٨٢ ب٧٠ ح١٧٩٣٨.

(٤) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١٨٢ ب٧٠ ضمن ح١٧٩٣٨.

وفي الحديث انه قيل للنبي ﷺ: «يا رسول الله ما حق الوالد؟

قال: أن تطيعه ما عاش.

قيل: وما حق الوالدة؟

فقال: هيهات هيهات لو أنه عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدنيا قام بين يديها ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها»[١].

وروي: «أن رجلا قال للنبي ﷺ: يا رسول الله أي الوالدين أعظم؟

قال: التي حملته بين الجنبين وأرضعته بين الثديين وحضنته على الفخذين وفدته بالوالدين»[٢].

وقيل للإمام زين العابدين عليه السلام: «أنت أبر الناس ولا نراك تؤاكل أمك؟ قال: أخاف أن أمد يدي إلى شيء وقد سبقت عينها عليه فأكون قد عققتها»[٣].

اللاعنف مع الأولاد

من وصايا الإسلام الخالدة في مسألة اللاعنف في الأُسرة هو أن تتعامل الأُسر مع أطفالها بالمودّة والرحمة وما أشبه من أساليب اللين التي غالباً ما تربّي الصغار على الطريق السليم وتأخذ بيدهم نحو الصواب والسداد.

فمن الطبيعي جدّاً أنّ الأطفال إذا شعروا أنّ الوالدين يكنّان لهم

---

(١) غوالي اللآلي: ج١ ص٢٦٩ ف١٠ ح٧٧.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١٨٢ ب٧٠ ح١٧٩٣٩.
(٣) مستدرك الوسائل: ج١٥ ص١٨٢ ب٧٠ ح١٧٩٤٠.

خالص العطف والحنان، وهم لا يلجؤون إلى الأساليب العنيفة في ردعهم والحدّ من أخطائهم فإنّهم ـ الأطفال ـ سوف ينسجمون مع أُسرهم ويتفاعلون مع الأجواء السائدة فيها ويتقبلون الكلام من والديهم ويتربون تربية حسنة.

أمّا إذا لجأ الوالدان إلى أساليب العنف والقوّة في تعاملهم مع أطفالهم، فانّ ذلك عادة ما يخلق للأُسرة مشاكل لا أوّل لها ولا آخر، كما يشاهد ذلك في بعض الأسر في مختلف البلاد، وخاصة الغربية منها.

من هنا فانّ الشارع المقدّس دعا إلى اللاعنف في التعامل مع الأطفال.

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «أحبّوا الصبيان وارحموهم، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم، فإنّهم لا يدرون إلاّ أنّكم ترزقونهم»(١).

وقال أبو عبد الله عليه السلام في بيان الكبائر: «والذي إذا دعاه أبوه لعن أباه، والذي إذا أجابه ابنه يضربه»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فإنّ بكائهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبي ﷺ وآله عليهم السلام، وأربعة أشهر الدعاء لوالديه»(٣).

---

(١) الكافي: ج٦ ص٤٩ باب بر الأولاد ح٣.
(٢) الكافي: ج٢ ص٢٨١ باب الكبائر ح١٥.
(٣) وسائل الشيعة: ج٢١ ص٤٤٧ ب٦٣ ح٢٧٥٤٤.

فصل

اللاعنف السياسي

سياسة اللاعنف

بين الحين والآخر يعاود البعض تساؤلاته حول سياسة الإسلام قائلا: يا تُرى هل للإسلام سياسة خاصّة؟

وإذا كانت له فما هي؟

وما هو الفارق بين سياسة الإسلام والسياسة الغربية أو الشرقية؟

وهل إنّ سياسة الإسلام تختلف عن سائر سياسات الرسالات السماوية السابقة؟

والجواب: نعم الإسلام يشتمل على أفضل برنامج في المجال السياسي وفي إدارة البلاد والعباد، على تفصيل ذكرناه في بعض كتبنا(١)، ومن مقومات السياسة الإسلامية: السلم واللاعنف في مختلف مجالات الحياة، ومع مختلف الأطراف.

سياسة السماء:

يكفي الإنسان أن يلقي نظرة سريعة على الآيات والروايات الشريفة المتطرّقة إلى منهجية الرسالات السالفة في إدارة البلاد وهداية العباد، فيتجلّى له واضحاً أنّ كافة الرسالات السماوية كانت لها سياسة واحدة قد دعا إليها جميعها.

---

(١) انظر: (الفقه: السياسة) و(الفقه: القانون) و(الفقه: طريق النجاة) و(السبيل إلى إنهاض المسلمين) و(ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) و(المقدمة العقائدية) و(إلى حكم الإسلام).

والسؤال هنا: ما هي تلك السياسة التي اتّفقت عليها رسالات السماء؟

الجواب: إنّها سياسة اللين واللاعنف والغضّ عن إساءة الآخرين.

فهذا هابيل عندما هدّده أخوه بالقتل أجابه مباشرةً بجواب يكشف عن التزامه بسياسة السماء الداعية إلى اللين واللاعنف حيث قال: ﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

وقال الطبرسي رحمه الله في مجمع البيان في تفسير هذه الآية: وقيل إنّ معنى الآية: «لئن بسطت إليّ يدك» على سبيل الظلم والابتداء لتقتلني، ما أنا بباسط يدي إليك على وجه الظلم والابتداء[2].

ثمّ علّل التزامه باللين واللاعنف قبال تهديدات أخيه قائلا: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقد ورد في الحديث: إنّ نبي الله إبراهيم عليه السلام كان ملتزماً باللين واللاعنف إلى أبعد حدّ، ففي أحد الأيّام جاءه رجل وآذاه كثيراً وشتمه! فقال له: هداك الله[3].

وعندما أمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام ووصيّه هارون عليه السلام بالذهاب إلى فرعون الطاغية، أوصاهما بالتزام اللين واللاعنف إبّان دعوته إلى الله، فقال عزّ من قائل: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾[4].

---

(١) سورة المائدة: ٢٨ ـ ٢٩.

(٢) مجمع البيان: ج٣ ص٣١٧، سورة المائدة: ٢٨.

(٣) بحار الأنوار: ج١٢ ص٢٠ ب٢ قصص ولادته عليه السلام إلى كسر الأصنام.

(٤) سورة طه: ٤٤.

وعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في سؤال محمّد بن أبي عمير حول هذه الآية قال: «أمّا قوله ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ أي كنّياه وقولا له يا أبا مصعب، وكان كنية فرعون أبا مصعب»[1].

والكناية نوع احترام ولين في الكلام.

وكذلك التزم نبيّ الله عيسى عليه السلام بقانون اللين واللاعنف في دعوته، بل كان يوصي أتباعه به حيث قال لبعضهم يوماً: «ما لا تحبّ أن يفعل بك فلا تفعله بأحد وإن لطم خدّك الأيمن فأعط الأيسر»[2].

سياسة الإسلام:

جولة سريعة في رحاب الآيات الكريمة والروايات الشريفة يتجلّى بوضوح أنّ الإسلام العزيز ليس فقط لا يدعو إلى العنف وأساليبه في شتّى المجالات، وإنّما سياسته على خلاف ذلك تماماً حيث إنّها تؤكّد على اللين واللاعنف.

فمن أبرز معالم سياسة الإسلام الداعية إلى اللاعنف هو:

حرمة الدماء:

إنّ الإسلام أخذ يؤكد على مسألة حرمة الدم والدماء، وعدم إراقتها تأكيداً بالغاً قلما تراه في مسائل أخرى، فهناك العديد من الآيات والروايات سلّطت الأضواء على قداسة الدماء وحرمتها.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في عهده إلى مالك الأشتر: «وإيّاك والدماء وسفكها بغير حلّها، فإنّه ليس شيء أدعى لنقمة ولا أعظم لتبعة

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٤ ص٤١٥ ـ ٤١٦.

(٢) بحار الأنوار: ج١٤ ص٢٨٧ ب٢١ ح١٠.

ولا أحرى بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغير حقّها، والله سبحانه وتعالى مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة، فلا تقوّين سلطانك بسفك دم حرام، فانّ ذلك ممّا يضعفه ويوهنه ويزيله وينقله ولا عذر لك عند الله ولا عندي في قتل العمد لأن فيه قود البدن، وإن ابتليت بخطأ وأفرط عليك سوطك أو يدك بالعقوبة فإنّ في الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن أن تؤدّي إلى أولياء المقتول حقّهم»[1].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أوّل ما يحكم الله فيه يوم القيامة الدماء، فيوقف إبنا آدم فيفصل بينهما، ثمّ الذين يلونهما من أصحاب الدماء حتّى لا يبقى منهم أحد، ثمّ الناس بعد ذلك حتّى يأتي المقتول بقاتله فيتشخّب في دمه وجهه، فيقول: هذا قتلني، فيقول: أنت قتلته؟ فلا يستطيع أن يكتم الله حديثاً»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لا يدخل الجنّة سافك للدم، ولا شارب الخمر، ولا مشّاء بنميم»[3].

وفي القرآن الحكيم قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾[4].

حرمة الأعراض:

هناك مسألة أُخرى نالت اعتناء الشارع المقدّس وتأكيداته الكثيرة

(١) نهج البلاغة، الرسائل ٥٣: من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.
(٢) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص١٢ ب١ ح٣٥٠٢٦.
(٣) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص١٣ ب١ ح٣٥٠٢٩.
(٤) سورة المائدة: ٣٢.

الداعية إلى اللاعنف . . ألا وهي مسألة حفظ الأعراض، فانّ للأعراض عند الإسلام قداسة خاصّة وحرمة شديدة بالغت الآيات والروايات في بيان حرمتها وقداستها.

ومن هذا المنطلق فانّ العديد من الأخبار كشفت عن عظمة عقاب من يسمح لنفسه بممارسة العنف إزاء أعراض الآخرين عبر الاغتصاب وما أشبه.

فعن عبد الله بن طلحة، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: سألته عن رجل سارق دخل على امرأة ليسرق متاعها فلمّا جمع الثياب تابعته نفسه فكابرها على نفسها فواقعها فتحرّك إبنها فقام فقتله بفأس كان معه فلمّا فرغ حمل الثياب وذهب ليخرج حملت عليه بالفأس فقتلته، فجاء أهله يطلبون بدمه من الغد؟

فقال أبو عبدالله عليه السلام: «اقض على هذا كما وصفت لك»، فقال: يضمن مواليه الذين طلبوا بدمه ديّة الغلام، ويضمن السارق فيما ترك أربعة آلاف درهم بمكابرتها على فرجها، إنّه زان وهو في ماله غريمة، وليس عليها في قتله إيّاه شيء، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كابر امرأة ليفجر بها فقتلته فلا ديّة له ولا قود»[1].

اللاعنف مع الرعية

على رأس المسائل المهمّة التي نالت اعتناء الشارع المقدّس وتأكيدات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام هي مسألة اللاعنف مع الرعية، فبين الفترة والأخرى تجد أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام يوصون الولاة فضلا عن السلاطين والحكّام بالرفق برعيتهم وعدم البطش بهم.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٩ ص٦٢ ب٢٣ ح٣٥١٥٥.

فلمّا أُستُخلف عثمان بن عفّان آوى إليه عمّه الحكم بن العاص وولده مروان والحارث بن الحكم ووجّه عمّاله في الأمصار وكان فيمن وجّه عمر بن سفيان بن المغيرة بن أبي العاص بن أُميّة إلى مُشكان، والحارث بن الحكم إلى المدائن، فأقام فيها مدّة يتعسّف أهلها ويسيء معاملتهم، فوفد منهم إلى عثمان وشكوا إليه وأعلموه بسوء ما يعاملهم به وأغلظوا عليه في القول، فولّى حذيفة بن اليمان عليهم وذلك في آخر أيّامه، فلم ينصرف حذيفة بن اليمان من المدائن إلى أن قتل عثمان واستخلف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فأقام حذيفة عليها وكتب إليه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى حذيفة بن اليمان، سلام عليكم، فإنّي ولّيتك ما كنت تليه لمن كان قبل حرف المدائن . .» إلى أن يقول عليه السلام: «وإنّي آمرك بتقوى الله وطاعته في السرّ والعلانية فاحذر عقابه في المغيب والمشهد، وأتقدّم إليك بالإحسان إلى المحسن والشدّة على المعاند، وآمرك بالرفق في أُمورك واللين والعدل في رعيتك فإنّك مسؤول عن ذلك، وانصاف المظلوم والعفو عن الناس وحسن السيرة ما استطعت فالله يجزي المحسنين»[1].

وقد بعث أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض عمّاله كتاباً يأمره فيه بالتزام اللين واللاعنف في التعامل مع الرعية حيث قال فيه عليه السلام: «أمّا بعد، فإنّك ممّن استظهر به على إقامة الدين، وأقمع به نخوة الأثيم، وأسدّ به لهاة الثغر المخوف، فاستعن بالله على ما أهمّك، وأخلط الشدّة بضغث من اللين، وارفق ما كان الرفق أرفق، واعتزم بالشدّة حين لا تغني عنك إلاّ الشدّة، واخفض للرعية جناحك، وابسط لهم وجهك،

(١) بحار الأنوار: ج٢٨ ص٨٧ ـ ٨٨ ب٣ ح٣.

وألن لهم جانبك، وآس بينهم في اللحظة والنظرة، والإرشاد والتحيّة، حتّى لا يطمع العظماء في حيفك، ولا ييأس الضعفاء من عدلك، والسلام»[(١)].

عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر:

وفي عهد أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر لمّا ولاّه مصر قال:

«وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبّة لهم واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم فانّهم صنفان، إمّا أخ لك في الدين وإمّا نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنّك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاّك، وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم، ولا تنصبن نفسك لحرب الله فإنّه لا يد لك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوه ورحمته، ولا تندمنّ على عفو، ولا تبجحنّ بعقوبة ،ولا تسرعنّ إلى بادرة وجدت عنها مندوحة ولا تقولنّ إنّي مؤمّر أمر فأطاع، فإنّ ذلك إدغال في القلب ومنهكة للدين وتقرّب من الغير»[(٢)].

اللاعنف إزاء المعارضة

بلغت سياسة الإسلام في اللاعنف والسلم، قدراً من القداسة بحيث إنّها أتاحت المضمار لشتّى الطوائف على مختلف مشاربهم وأفكارهم في أن يبدوا آراءهم واعتراضاتهم إزاء كلّ شاردة وواردة تطرأ على الساحة، وهذا ما يسمى بحرية المعارضة وحقوقها.

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل ٤٦: من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله.

(٢) نهج البلاغة، الرسائل ٥٣: من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

ففي عهد رسول الله ﷺ ممثّل الإسلام الأوّل ورافع راية النبوّة الخاتمة كان المعارضون حتى من غير المسلمين، يبدون اعتراضاتهم بكلّ صراحة ودون أيّة مخافة، وكان رسول الله ﷺ يتقبّل ذلك بصدر رحب ويتعامل معهم بكلّ حفاوة واحترام ولم يلجأ يوماً ما إلى العنف والبطش معهم أبداً.

وكذلك الحال بالنسبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام إذ أنّه عليه السلام عندما انتهت إليه الخلافة أخذ البعض يبدي اعتراضاته ومخالفته، إلاّ أنّه عليه السلام لم يعاقب أحداً بذلك، بل كان في بعض الأحيان يخبرهم بما يضمرون ويغضّ الطرف عنهم.

إنّما أردتما الغدر:

روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لطلحة والزبير حين استأذناه في الخروج إلى العمرة: لا والله ما تريدان العمرة وإنّما تريدان البصرة، فكان الأمر كما قال.

وقال عليه السلام لابن عبّاس وهو يخبره عن استئذانهما له في العمرة: إنّني أذنت لهما مع علمي بما قد انطويا عليه من الغدر واستظهرت بالله عليهما، وإنّ الله تعالى سيردّ كيدهما ويظفرني بهما[1].

وقال عليه السلام في خطبة له في ذي قار مصرّحاً عن سماحة الإسلام وعظمة سياسته اللاعنفية الداعية إلى إتاحة الحرّيات للآخرين حتّى للمعارضة:

وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر في وجهيهما والنكث في عينيهما، ثمّ استأذنا في العمرة فأعلمتهما أنّ ليس العمرة يريدان، فسارا

---

(١) الإرشاد: ج١ ص٣١٥.

إلى مكّة واستخفا عائشة وخدعاها وشخص معها أبناء الطلقاء فقدموا البصرة وقتلوا بها المسلمين وفعلوا المنكر، ويا عجباً لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيهما عليَّ وهما يعلمان أنّي لست دون أحدهما ولو شئت أن أقول لقلت، ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه فكتما عنّي وخرجا يوهمان الطغام أنّهما يطلبان بدم عثمان[1].

يا قاتل الأحبّة!

وقد ورد انّه بعد واقعة الجمل قالت صفيّة بنت الحارث زوجة عبدالله بن خلف الخزاعي للإمام علي عليه السلام: يا قاتل الأحبّة، يا مفرّق الجماعة!، فقال الإمام عليه السلام: إنّي لا ألومك أن تبغضيني يا صفيّة وقد قتلت جدّك يوم بدر وعمّك يوم أُحد وزوجك الآن، ولو كنت قاتل الأحبّة لقتلت من في هذه البيوت، ففتّش فكان فيها مروان وعبدالله بن الزبير[2].

ولا يخفى أن القتل كان في ميدان الحرب ودفاعاً عن المسلمين.

من نولّي أمر الجنود؟

ربما يتصوّر البعض أنّ القائد العسكري حتّى يكون موفّقاً فلابدّ أن يكون عنيفاً بحيث لا تعرف الرأفة والرحمة إلى قلبه سبيلا.

ولكن هذا التصوّر ليس بصحيح، فليس العنف والبطش هما سر نجاح القائد العسكري الموفّق، بل على العكس تماماً ينبغي للقائد العسكري أن يكون ليّناً رؤوفاً مضافاً إلى لزوم كونه شجاعاً وقوياً وحكيماً، فالقائد يميل دائماً إلى الرفق واللاعنف خصوصاً مع الجنود الذين يدافعون عن ثغور البلاد الإسلامية.

---

(١) الجمل، للمفيد: ص٢٦٨ خطبة أخرى لأمير المؤمنين عليه السلام بذي قار.
(٢) بحار الأنوار: ج٣١ ص٣١٠ ب١١٤.

فمن وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الأشتر قائلا: «ولّ أمر جنودك أفضلهم في نفسك حلماً، وأجمعهم للعلم وحُسن السياسة وصالح الأخلاق، ممّن يبطئ عن الغضب، ويسرع إلى العذر ويراقب الضعيف ولا يُلحّ على القوي، ممّن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف، والصق بأهل العفّة والدين والسوابق الحسنة، ثمّ بأهل الشجاعة منهم، فإنّهم جُمّاع الكرم وشعبه من العزّ ودليل على حسن الظنّ بالله والإيمان به، ثمّ تفقّد من أُمورهم ما يتفقّده الوالد من ولده، ولا يعظمنّ في نفسك شيء أعطيتهم إيّاه، ولا تحقّرن لهم لطفاً تلطفهم به، فإنّه يرفق بهم كلّ ما كان منك إليهم وإن قلّ، ولا تدعنّ تفقّد لطيف أُمورهم اتّكالا على نظرك في جسيمها...»[١].

اللاعنف في الحروب

إحدى الدلائل المهمّة الدالّة على أنّ الإسلام لا يدعو إلى العنف والبطش هي مسألة الحروب والمعارك التي خاضها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأئمّة الأطهار عليهم السلام:

ففي التاريخ: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمّا كان في مكّة المكرّمة لم يجهّز جيشاً للقتال أصلا، ولمّا هاجر إلى المدينة المنوّرة وبعد أن فرض على المسلمين الجهاد بشرائطه التامّة المذكورة في كتب الفقه المفصّلة[٢]، قاتل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشركين ولكن قتاله لم يكن هجومياً وإنما معاركه كانت دفاعية.

---

(١) نهج البلاغة، كتاب ٥٣: من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر وأعمالها.

(٢) راجع موسوعة الفقه: ج٤٧-٤٨ كتاب الجهاد.

من جانب آخر الوصايا السمحة التي كان يؤكّد عليها الرسول ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام قبل خوض كلّ حرب تكشف بوضوح أنّ الإسلام لا يستخدم القوّة والعنف إلاّ في أشد حالات الضرورة ومع القلّة من الناس ممّن لا تجدي معهم المواعظ الحسنة.

فمن تلك الوصايا المهمّة الداعية إلى اللاعنف في الحروب:

لا للدمار:

عن أبي عبد الله عليه السلام إنّه قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبعث سريّة دعاهم فأجلسهم بين يديه ثمّ يقول:

سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله

لا تغلّوا

ولا تمثّلوا

ولا تغدروا

ولا تقتلوا شيخاً فانياً

ولا صبيّاً

ولا امرأة

ولا تقطعوا شجراً إلاّ أن تضطرّوا إليها.

وأيّما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين فهو جار حتّى يسمع كلام الله

فإن تبعكم فأخوكم في الدين

وإن أبى فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله عليه»[1].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٢٧ ـ ٢٨ باب وصية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح١.

وصايا قبل الحرب:

وفي وصيّة لأمير المؤمنين عليه السلام أوصى بها عسكره قبل لقاء العدو قال فيها:

«لا تقاتلوهم حتّى يبدؤوكم، فإنّكم بحمد الله على حجّة، وترككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجّة أُخرى لكم عليهم.

فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً

ولا تصيبوا معوراً

ولا تجهّزوا على جريح

ولا تهيجوا النساء بأذى، وان شتمن أعراضكم، وسببن أُمراءكم، فانّهنّ ضعيفات القوى والأنفس والعقول، إنّا كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ وإنّهنّ مشركات، وإن كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالقهر أو الهراوة فيعيّر بها وعقبه من بعده»[١].

إعطاء الأمان:

عن السكوني، عن أبي عبد الله عليه السلام انّه قال: قلت له: ما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله «يسعى بذمّتهم أدناهم»؟

قال عليه السلام: «لو أنّ جيشاً من المسلمين حاصروا قوماً من المشركين فأشرف رجل فقال: أعطوني الأمان حتّى ألقى صاحبكم وأُناظره، فأعطاه أدناهم الأمان وجب على أفضلهم الوفاء به»[٢].

وعن أبي عبد الله أو عن أبي الحسن عليهما السلام قال: «لو أنّ قوماً

---

(١) نهج البلاغة، الرسائل ١٤: من وصية له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدد بصفين.

(٢) الكافي: ج٥ ص٣٠ ـ ٣١ باب إعطاء الأمان ح١.

حاصروا مدينة فسألوهم الأمان، فقالوا: لا، فظنّوا أنّهم قالوا: نعم، فنزلوا إليهم كانوا آمنين»[1].

العطف على الأسرى:

على خلاف سيرة معظم الأُمم في تعاملهم مع الأسرى جاء الإسلام العزيز وحثّ المسلمين على الرفق بهم والعطف عليهم والتعامل معهم باللين واللاعنف.

يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «إذا أخذت أسيراً فعجز عن المشي وليس معك محمل فأرسله ولا تقتله فإنّك لا تدري ما حكم الإمام فيه»[2].

وعن أبي عبد الله عليه السلام إنّه قال: «إطعام الأسير حقّ على من أسره وإن كان يراد من الغد قتله، فإنّه ينبغي أن يطعم ويسقى ويظلّ ويرفق به، كافراً كان أو غيره»[3].

وعن الشعبي قال: لمّا أسر علي عليه السلام الأسرى يوم صفّين وخلّى سبيلهم أتوا معاوية وقد كان عمرو بن العاص يقول لأسرى أسرهم معاوية اقتلهم فما شعروا إلاّ بأسراهم قد خلّى سبيلهم علي عليه السلام، فقال معاوية: يا عمرو لو أطعناك في هؤلاء الأسرى لوقعنا في قبيح من الأمر، ألا ترى قد خلّى سبيل أسرانا فأمر بتخلية من في يديه من أسرى علي عليه السلام وقد كان علي عليه السلام إذا أخذ أسيراً من أهل الشام خلّى سبيله إلاّ أن يكون قد قتل من أصحابه أحداً[4].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٣١ باب إعطاء الأمان ح٤.
(٢) الكافي: ج٥ ص٣٥ باب الرفق بالأسير وإطعامه ح١.
(٣) الكافي: ج٥ ص٣٥ باب الرفق بالأسير وإطعامه ح٢.
(٤) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٥٠ ب٢١ ح١٢٤٠٦.

الدعوة إلى الإسلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن قال: يا علي لا تقاتل أحداً حتّى تدعوه إلى الإسلام وأيم الله لئن يهدي الله على يديك رجلا خير لك ممّا طلعت عليه الشمس وغربت ولك ولاؤه يا علي»[1].

وعن الزهري أنّه قال: دخل رجال من قريش على علي بن الحسين عليه السلام فسألوه كيف الدعوة إلى الدين؟

قال: «تقول: بسم الله الرحمن الرحيم أدعوكم إلى الله عز وجل وإلى دينه وجماعه أمران: أحدهما معرفة الله عز وجل والآخر العمل برضوانه وإنّ معرفة الله عز وجل أن يعرف بالوحدانية والرأفة والرحمة والعزّة والعلم والقدرة والعلوّ على كلّ شيء، وانّه النافع الضارّ، القاهر لكلّ شيء، الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، وأنّ محمّداً عبده ورسوله وأنّ ما جاء به هو الحقّ من عند الله عز وجل وما سواه باطل، فإذا أجابوا إلى ذلك فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين»[2].

(١) الكافي: ج٥ ص٢٨ باب وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح٤.
(٢) الكافي: ج٥ ص٣٦ باب الدعاء إلى الإسلام قبل القتال ح١.

فصل

من معالم اللاعنف

مظاهر اللاعنف

هناك عدّة أُمور تتجلّى فيها حقيقة اللاعنف الذي طالما أكّد عليه الشارع المقدّس ودعا إليه الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، فمن أبرز هذه الأُمور:

اللاعنف في القول

عندما يطبّع الإنسان نفسه على اللين واللاعنف، فإنّ آثار ذلك يوماً بعد آخر ستنعكس على سائر جوارحه وجوانحه . . .

ومن تلك الجوارح المهمّة التي طالما أكّد الإسلام على تطبيعها باللاعنف هو اللسان، ذلك العضو الذي كثيراً ما يأخذ بيد الإنسان إمّا إلى الهلاك والضياع المحتوم أو إلى السعادة والفلاح في الدارين.

لذلك ـ ومن هذا الباب ـ فإنّ العديد من الروايات أخذت تؤكّد على مسألة اللين في القول، وعدم التهجّم على الآخرين عبر اللسان سواء أكان من خلال السباب والفحش أم بغيرهما من أساليب العنف باللسان.

لا تكونوا فحّاشين:

عن رسول الله ﷺ: «إنّ الله حرّم الجنة على كلّ فحّاش بذي قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فانّك إن فتّشته لم تجده إلاّ لغية أو شرك شيطان.

فقيل: يا رسول الله ﷺ وفي الناس شرك شيطان؟

فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ قول الله عز وجل: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾[1]».

قال: وسأل رجل فقيهاً هل في الناس من لا يبالي ما قيل له؟

قال: من تعرّض للناس يشتمهم وهو يعلم أنّهم لا يتركونه فذلك الذي لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه»[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ الله يبغض الفاحش المتفحّش»[3].

وعن عمر بن نعمان الجعفي قال: كان لأبي عبد الله عليه السلام صديق لا يكاد يفارقه إذا ذهب مكاناً، فبينما هو يمشي معه في الحذّائين ومعه غلام سندي يمشي خلفهما إذا التفت الرجل يريد غلامه ثلاث مرّات فلم يره، فلمّا نظر في الرابعة قال: يا بن الفاعلة أين كنت؟

قال: فرفع أبو عبد الله عليه السلام يده فصكّ بها جبهة نفسه، ثمّ قال: «سبحان الله تقذف أُمّه قد كنت أرى لك ورعاً فإذا ليس لك ورع».

فقال: جعلت فداك أُمّه سندية مشركة.

فقال: «أما علمت أنّ لكلّ أُمّة نكاحاً، تنحّ عنّي».

قال: فما رأيته يمشي معه حتّى فرّق الموت بينهما[4].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان في بني إسرائيل رجل فدعا الله

---

(١) سورة الإسراء: ٦٤.

(٢) الكافي: ج٢ ص٣٢٣ باب البذاء ح٣.

(٣) الكافي: ج٢ ص٣٢٣ باب البذاء ح٤.

(٤) الكافي: ج٢ ص٣٢٤ باب البذاء ح٥.

أن يرزقه غلاماً ثلاث سنين، فلمّا رأى أنّ الله لا يجيبه قال: ياربّ أبعيد أنا منك فلا تسمعني أم قريب منّي فلا تجيبني، قال فأتاه آت في منامه، فقال: إنّك تدعو الله عز وجل منذ ثلاث سنين بلسان بذي وقلب عات غير تقي ونيّة غير صادقة فاقلع عن بذائك وليتّق الله قلبك ولتحسن نيّتك، قال: ففعل الرجل ذلك ثمّ دعا الله فولد له غلام»[١].

وقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ الفحش والبذاء والسلاطة من النفاق»[٢].

وعن سماعة قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال لي مبتدئاً: «يا سماعة ما هذا الذي كان بينك وبين حمّالك؟ إيّاك أن تكون فحّاشاً أو صخّاباً أو لعّاناً».

فقلت: والله لقد كان ذلك أنّه ظلمني.

فقال: «إن كان ظلمك لقد أربيت عليه[٣] إنّ هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي، استغفر الله ولا تعد».

قلت: أستغفر الله ولا أعود[٤].

إحفظوا ألسنتكم:

عن أبي علي بن الجوّاني قال: شهدت أبا عبد الله عليه السلام وهو يقول لمولى له يقال له سالم ووضع يده على شفتيه وقال: «يا سالم احفظ لسانك تسلم، ولا تحمل الناس على رقابنا»[٥].

---

(١) الكافي: ج٢ ص٣٢٤ ـ ٣٢٥ باب البذاء ح٧.
(٢) الكافي: ج٢ ص٣٢٥ باب البذاء ح١٠.
(٣) أربيت: إذا أخذت أكثر ممّا أعطيت .
(٤) الكافي: ج٢ ص٣٢٦ باب البذاء ح١٤.
(٥) الكافي: ج٢ ص١١٣ باب الصمت وحفظ اللسان ح٣.

وقال رسول الله ﷺ: «نجاة المؤمن في حفظ لسانه»(١).

وعن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول: «كان أبوذر رحمه الله يقول: يا مبتغي العلم إنّ هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شرّ، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقتك»(٢).

وعن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: «إنّ لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كلّ صباح، فيقول كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون الله الله فينا، ويناشدونه ويقولون: إنّما نثاب ونعاقب بك»(٣).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «اللسان سبع عقور إن خلّي عنه عقر»(٤).

عن سليمان بن مهران قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام وعنده نفر من الشيعة فسمعته وهو يقول: «معاشر الشيعة كونوا زيناً لنا ولا تكونوا شيناً، قولوا للناس حسناً واحفظوا ألسنتكم وكفّوها عن الفضول وقبح القول»(٥).

وعن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يا فضيل بلّغ من لقيت من موالينا السلام وقل لهم إنّي لا أُغني عنهم من الله شيئاً إلاّ بورع، فاحفظوا ألسنتكم وكفّوا أيديكم وعليكم بالصبر والصلاة إنّ الله مع الصابرين»(٦).

---

(١) الكافي: ج٢ ص١١٤ باب الصمت وحفظ اللسان ح٩.
(٢) الكافي: ج٢ ص١١٤ باب الصمت وحفظ اللسان ح١٠.
(٣) الكافي: ج٢ ص١١٥ باب الصمت وحفظ اللسان ح١٣.
(٤) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٩٢ ب١١٩ ح١٦٠٥٧.
(٥) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٩٣ ب١١٩ ح١٦٠٦٣.
(٦) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٩٥ ب١١٩ ح١٦٠٦٧.

وعن أبي عبد الله عليه السلام في رسالته إلى أصحابه قال: «فاتّقوا الله وكفّوا ألسنتكم إلاّ من خير»[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يعذّب اللسان بعذاب لا يعذّب به شيء من الجوارح، فيقول أي ربّ عذّبتني بعذاب لم تعذّب به شيئاً من الجوارح، قال: فيقال: خرجت منك كلمة بلغت مشارق الأرض ومغاربها فسفك بها الدم الحرام، وأُخذ بها المال الحرام، وانتهك بها الفرج الحرام، فوعزّتي لأعذّبنّك بعذاب لا أُعذّب به شيئاً من جوارحك»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحم الله عبداً تكلّم فغنم أو سكت فسلم، إنّ اللسان أملك شيء للإنسان، ألا وإنّ كلام العبد كلّه عليه إلاّ ذكر الله تعالى أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو إصلاح بين المؤمنين».

فقال له معاذ بن جبل: يا رسول الله صلى الله عليه وآله أنؤاخذ بما نتكلّم؟

فقال له: «وهل تكبّ الناس على مناخرهم في النار إلاّ حصائد ألسنتهم، فمن أراد السلامة فليحفظ ما جرى به لسانه»[3].

اللاعنف مع الحيوان

لم تقتصر دعوة الإسلام العزيز على اللاعنف فيما بين بني البشر وحسب، وإنّما تعدّت وصاياه عن ذلك لتشمل تعامل الإنسان مع سائر الموجودات الأُخرى.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢ ص١٩٥ ب١٢٠ ح١٦٠٧٣.
(٢) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٢٣ ب١٠٢ ح١٠٠٩٦.
(٣) مستدرك الوسائل: ج٩ ص٣٢ ب١٠٣ ح١٠١٢٣.

فمن خلال الروايات يتجلّى واضحاً أنّ الإسلام يدعو إلى اللاعنف واللين حتّى مع الحيوانات، ففي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «للدابّة على صاحبها خصال، يبدأ بعلفها إذا نزل، ويعرض عليها الماء إذا مرّ به، ولا يضرب وجهها فإنّها تسبّح بحمد ربّها .. ولا يحمّلها فوق طاقتها ولا يكلّفها من المشي إلاّ ما تطيق»[1].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في الدواب: «لا تضربوا الوجوه، ولا تلعنوها، فانّ الله عز وجل لعن لاعنها»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «لا تتورّكوا على الدواب ولا تتّخذوا ظهورها مجالس»[3].

وقال ﷺ: «إنّ الله يحبّ الرفق ويعين عليه، فإذا ركبتم الدواب العجف فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض مجدبة فأنجوا عنها، وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها»[4].

وقال رسول الله ﷺ: «للدابة على صاحبها خصال، حتّى قال: ولا يضرب وجهها فإنّها تسبّح بحمد ربّها ولا يقف على ظهرها إلاّ في سبيل الله عز وجل ولا يحمّلها فوق طاقتها ولا يكلّفها من المشي إلاّ ما تطيق»[5].

وعن النبي ﷺ انّه أبصر ناقة معقولة وعليها جهازها، فقال: «أين صاحبها؟ مروه فليستعد غداً للخصومة»[6].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٨٦ باب حق الدابة على صاحبها ح٢٤٦٥.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٨٧ باب حق الدابة على صاحبها ح٢٤٦٩.
(٣) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٨٧ باب حق الدابة على صاحبها ح٢٤٧١.
(٤) الكافي: ج٢ ص١٢٠ باب الرفق ح١٢.
(٥) من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٢٨٦ باب حق الدابة على صاحبها ح٢٤٦٥.
(٦) بحار الأنوار: ج٦١ ص٢٠٣ ب٨ ح٥.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «حجّ علي بن الحسين عليه السلام على راحلته عشر حجج ما قرعها بسوط، ولقد بركت به سنة من سنواته فما قرعها بسوط»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: «للدابّة على صاحبها سبعة حقوق: لا يحمّلها فوق طاقتها، ولا يتّخذ ظهرها مجلساً يتحدّث عليه، ويبدأ بعلفها إذا نزل، ولا يسمها في وجهها، ولا يضربها في وجهها فإنّها تسبّح، ويعرض عليها الماء إذا مرّ به، ولا يضربها على النفار، ويضربها على العثار، لأنّها ترى ما لا ترون»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تسبّوا الديك فانّه يوقظ للصلاة»[3].

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وآله: «لا تسبّوا الديك فانّه يدلّ على مواقيت الصلاة»[4].

وقال صلى الله عليه وآله في حديث ثالث: «لا تسبّوا الديك فانّه صديقي، وأنا صديقه، وعدوّه عدوّي، والذي بعثني بالحقّ لو يعلم بنو آدم ما في قترته لاشتروا ريشه ولحمه بالذهب والفضّة وانّه يطرد مذمومة من الجنّ»[5].

وروي: أنّ صبيين توثّبا على ديك فنتفاه، فلم يدعا عليه ريشه، وشيخ قائم يصلّي لا يأمرهم ولا ينهاهم قال: فأمر الله الأرض فابتلعته[6].

---

(١) بحار الأنوار: ج٦١ ص٢٠٤ ب٨ ح٦.
(٢) بحار الأنوار: ج٦١ ص٢٠٢ ب٨ ح٢.
(٣) بحار الأنوار: ج٦٢ ص٩ ب٢ ح١٣.
(٤) مكارم الأخلاق: ص١٣٠ ب٦ ف٩ فيما يتعلق بالمسكن.
(٥) مكارم الأخلاق: ص١٣٠ ب٦ ف٩ فيما يتعلق بالمسكن.
(٦) مستدرك الوسائل: ج١٢ ص١٨٤ ب١ ح١٣٨٣٣.

وعن رسول الله ﷺ قال: «دخلت امرأة النار في هرّة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[1].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام عن أبيه عن جدّه عليهم السلام، قال: «لا تأكلوا القنبرة ولا تسبّوها ولا تعطوها الصبيان يلعبون بها فإنّها كثيرة التسبيح لله تعالى وتسبيحها لعن مبغضي آل محمّد عليهم السلام»[2].

وعن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قتل الخطّاف وإيذائهنّ في الحرم، فقال: «لا يقتلن، فإنّي كنت مع علي بن الحسين عليه السلام فرآني وأنا أُوذيهنّ، فقال لي: يا بني لا تقتلهنّ ولا تؤذهنّ، فإنّهنّ لا يؤذين شيئاً»[3].

وعن علي بن جعفر قال: سألت أخي موسى عليه السلام عن الهدهد وقتله وذبحه، فقال: «لا يؤذي ولا يذبح، فنعم الطير هو»[4].

وعن علي بن الحسين عليه السلام انّه نظر إلى حمام مكّة قال: «أتدرون ما سبب كون هذا الحمام في الحرم؟»

قالوا: ما هو يا بن رسول الله؟

قال: «كان في أوّل الزمان رجل له دار فيها نخلة قد آوى إلى خرق في جذعها حمام، فإذا فرّخ صعد الرجل فأخذ فراخه فذبحها، فأقام بذلك دهراً طويلا لا يبقى له نسل، فشكا ذلك الحمام إلى الله عز وجل ممّا ناله من الرجل، فقيل له: إن رقى إليك بعد هذا فأخذ لك

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٨ ص٣٠٣ ب٤٤ ح٩٥٠٥.
(٢) الكافي: ج٦ ص٢٢٥ باب القنبرة ح١.
(٣) الكافي: ج٦ ص٢٢٤ باب الخطاف ح٣.
(٤) الكافي: ج٦ ص٢٢٤ باب الهدهد والصرد ح٢.

فرخاً صرع عن النخلة فمات، فلمّا كبرت فرخ الحمام رقى إليها الرجل ووقف لينظر إلى ما يصنع، فلمّا توسّط الجذع وقف السائل بالباب فأعطاه شيئاً ثمّ ارتقى فأخذ الفراخ ونزل بها فذبحها ولم يصبه شيء، فقال الحمام: ما هذا يا ربّ، فقيل له: إنّ الرجل تلافى نفسه بالصدقة فدفع عنه وأنت فسوف يكثر الله في نسلك ويجعلك وإيّاهم بموضع لا يهاج منهم شيء إلى أن تقوم الساعة، وأُتي به إلى الحرم فجعل فيه»[1].

إلى غيرها من الروايات، وقد ذكرنا بعض حقوق الحيوان وأحكامه في كتاب (الفقه: حقوق الحيوان).

البيئة واللاعنف[2]

من خلال تأكيدات الرسول الأعظم ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام قبل كلّ حرب كان يخوضها المسلمون يتجلّى واضحاً أنّ الإسلام العزيز يحرص بشدّة على حفظ البيئة وعدم تلويثها عبر الأعمال العنيفة غرار إلقاء السموم في المياه أو قلع الأشجار أو غيرها من الأُمور المؤثّرة في تلويث البيئة.

لا تقطعوا شجراً:

قبل أن يبعث رسول الله ﷺ أيّة سرية إلى القتال كان يدعوهم ويجلسهم بين يديه ويوصيهم بوصايا مهمّة تكشف للبشرية على مدى الزمان مدى اعتنائه ﷺ باللاعنف وعنايته بالبيئة.

ففي الحديث عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «كان

(١) مستدرك الوسائل: ج٧ ص١٧٤ ب٨ ح٧٩٥٩.

(٢) راجع موسوعة الفقه كتاب البيئة، للإمام الشيرازي رحمه الله حيث فصّل (قدس سره) البحث حول تلوّث البيئة وشخّص الأسباب في ذلك وطرح الحلول المناسبة لها.

رسول الله ﷺ إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه ثمّ يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله وعلى ملّة رسول الله ﷺ ... حتّى يقول: ولا تقطعوا شجراً إلاّ أن تضطرّوا إليها»[1].

وفي وصيّة أُخرى لرسول الله ﷺ لبعض السرايا قائلا فيها: «ولا تحرقوا النخل ولا تغرقوه بالماء ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولاتحرقوا زرعاً»[2].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «نهى رسول الله ﷺ أن يلقى السمّ في بلاد المشركين»[3].

إماطة الأذى:

إحدى الآثار الجليّة الكاشفة عن سماحة الإسلام ومدى حرصه على اللاعنف في حياة البشرية هي وصاياه المتعدّدة المنادية إلى قضاء حوائج الناس والسعي لإيصال النفع إليهم حتى بمقدار إماطة الأذى عن دربهم.

أجل، إنّ منهجية الإسلام السمحة تحثّ المسلمين بأن يكونوا غير عنيفين إلى أبعد الحدود ومما يدل على ذلك الروايات المنادية إلى إماطة الأذى عن الدرب حيث إنّ الإسلام لا يقبل أذيّة الناس حتى بهذا المستوى.

فقد قال النبي ﷺ: «الإيمان بضعة وسبعون [ستّون] شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلاّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[4].

---

(١) الكافي: ج٥ ص٢٧ باب وصية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح١.
(٢) الكافي: ج٥ ص٢٩ باب وصية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح٨.
(٣) الكافي: ج٥ ص٢٨ باب وصية رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام في السرايا ح٢.
(٤) غوالي اللآلي: ج١ ص٤٣١ ب١ المسلك الثالث ح١٣٠.

وقال رسول الله ﷺ: «دخل عبد الجنّة بغصن من شوك كان على طريق المسلمين فأماطه عنه»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لقد كان علي بن الحسين عليه السلام يمرّ على المدرة في وسط الطريق فينزل عن دابته حتّى ينحّيها بيده عن الطريق»[2].

وقال رسول الله ﷺ: «من أماط عن طريق المسلمين ما يؤذيهم كتب الله له أجر قراءة أربعمائة آية كلّ حرف منها بعشر حسنات»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «مرّ عيسى بن مريم بقبر يعذّب صاحبه، ثمّ مرّ به من قابل فإذا هو ليس يعذّب، فقال: يا ربّ مررت بهذا القبر عام أوّل فكان صاحبه يعذّب ثمّ مررت به العام فإذا هو ليس يعذّب؟ فأوحى الله عز وجل إليه: يا روح الله إنّه أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فغفرت له بما عمل إبنه»[4].

وعن النبي ﷺ قال: «إنّ على كلّ مسلم في كلّ يوم صدقة، فقيل له: ومن يطيق ذلك، قال ﷺ: إماطتك الأذى عن الطريق صدقة، وإرشادك الرجل إلى الطريق صدقة»[5].

اللاعنف مع الموالي والعبيد

العديد من الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام تحثّ المسلمين

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٤٩ ب٤١ ح١.
(٢) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٥٠ ب٤١ ح٤.
(٣) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٥٠ ب٤١ ح٣.
(٤) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٤٩ ب٤١ ح٢.
(٥) بحار الأنوار: ج٧٢ ص٥٠ ب٤١ ح٤.

ـ خاصّة في صدر الإسلام ـ إلى العطف والتعامل بالتي هي أحسن مع العبيد والموالي.

أجل، إنّ الإسلام العزيز يريد من المسلمين أن يتطبّعوا على خصال الإيمان الواقعي التي منها اللين واللاعنف وأن لا يركنوا إلى البطش والعنف اللذين عادة ما يخرجان الإنسان عن حدود الإيمان ويدخلانه في متاهات لا أوّل لها ولا آخر.

فقد روي أنّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام كان إذا دخل عليه شهر رمضان يكتب على غلمانه ذنوبهم، حتّى إذا كان آخر ليلة دعاهم ثمّ أظهر الكتاب وقال: يا فلان فعلت كذا ولم أُؤذيك، فيقرّون أجمع، فيقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم وقولوا: يا علي بن الحسين ربّك قد أحصى عليك ما عملت كما أحصيت علينا، ولديه كتاب ينطق بالحقّ لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، فاذكر ذلّ مقامك بين يدي ربّك الذي لا يظلم مثقال ذرّة وكفى بالله شهيداً، فاعف واصفح يعفُ عنك المليك لقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[1] ويبكي وينوح»[2].

وهناك موقف آخر للإمام الصادق عليه السلام يتّضح منه مدى اعتنائه عليه السلام بمسألة اللين واللاعنف مع الموالي والعبيد حيث يقول أبو سفيان الثوري: دخلت على الإمام الصادق عليه السلام فرأيته متغيّر اللون فسألته عن ذلك، فقال: كنت نهيت أن يصعدوا فوق البيت، فدخلت فإذا جارية من جواريّ ممّن تربّي بعض ولدي قد صعدت في سلّم والصبي معها، فلمّا بصرت بي ارتعدت وتحيّرت وسقط الصبيّ إلى الأرض

(١) سورة النور: ٢٢.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ج٤ ص١٥٨ فصل في علمه وحلمه وتواضعه عليه السلام.

فمات، فما تغيّر لوني لموت الصبي وإنّما تغيّر لوني لما أدخلت عليها من الرعب، وكان الإمام عليه السلام قد قال لها: «أنتِ حرّة لوجه الله لا بأس عليك ـ مرّتين»[1].

وعن حفص بن أبي عائشة، قال: بعث أبو عبد الله عليه السلام غلاماً له في حاجة له فأبطأ، فخرج أبو عبد الله عليه السلام على أثره لمّا أبطأ فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروّحه[2] حتّى انتبه، فلمّا انتبه قال له أبو عبد الله عليه السلام: «يا فلان! والله ما ذلك لك، تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٧ ص٢٤ ب٤ ح٢٦.

(٢) روّح عليه بالمروحة: حرّك يده بها ليستجلب له الريح.

(٣) العوالم: ج٢ ص١٩٣ ح٢.

فصل

اللاعنف والمرأة

المرأة قبل الإسلام

كانت المرأة قبل الإسلام ضحية العنف وكانت مضطهدة بأنواع الاضطهاد في مختلف أنحاء الأرض، من غير فرق بين المرأة في الحضارات اليونانية أو المصرية أو الهندية أو الفارسية أو غيرها، فكيف عند الذين لم تكن لهم حضارة أصلا كالجاهليين.

عنف الحضارات:

جاء في التاريخ: بأنّ المرأة في اليونان القديم كانت تعدُّ كالبضائع والسلع التجارية لا أكثر، فكانت تباع وتشترى في الأسواق، مضافا إلى أنه لم يكن لها حق الحياة بعد وفاة الزوج فإنّهم كانوا يقتلون زوجة الرجل بعد موته.

وكان المجوس بعد انحراف دينهم ـ حيث كانوا من أهل الكتاب فقتلوا نبيهم وأحرقوا كتابهم ـ إذا مات الملك أو الأمير أو ما أشبه ذلك قتلوا زوجته ثمّ أحرقوها مع الزوج، وفي بعض الأحيان تجدهم لا يحرقون أيّاً منهما وإنّما يدفنوهما معاً.

وكان قد شاهد بعض أصدقائنا بعض أموات المجوس وهم في مقبرة جماعية مع زوجاتهم في قصّة لسنا الآن بصددها.

وقد حقّ للأب في حضارة الرومان بيع بناته بينما لا يحقّ له بيع

الولد، بل كان يحقّ للأب القضاء عليها وقتلها عندما يرى ذلك، وكذلك حقّ له بيع زوجته أو تبديلها بزوجة أُخرى أو بسلعة ثانية، ويحقّ للأب ذلك ما دامت البنت غير مزوّجة فإذا زوّجت ينقل هذا الحقّ إلى زوجها باعتباره يصبح مالكاً لها بحكم القانون.

أمّا في حضارة الهند فقد كانت الزوجة تحرق مع جثمان زوجها وأحياناً تحرق وهي على قيد الحياة كي تخلّص روحها من العزلة والإنفراد وقد أشارت إلى ذلك بعض التواريخ المتطرّقة إلى سيرة المرأة في الهند.

أمّا في الجزيرة العربية فقد كان بعض العرب يأدون البنات خشية أن يقعن بيد العدو وينجبن له الأطفال، وكانت البنت آنذاك تتعرّض للوأد بشكل غريب حتّى إنّ الآية الشريفة أشارت إلى حال أحدهم إذا بُشّر بالأنثى قائلة: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1].

قال الطبرسي في تفسير هذه الآية: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ واحد منهم بأنّه وُلد له بنت ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾ أي: صار لون وجهه متغيراً إلى السواد لما يظهر فيه من أثر الحزن والكراهة، فقد جعلوا لله ما يكرهونه لأنفسهم، وهذا غاية الجهل ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي: ممتلئ غيظاً وحزناً ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ﴾ يعني أنّ هذا الذي بشّر بالبنت، يستخفي من القوم الذين يستخبرونه عمّا ولد له استنكافاً منه، وخجلا وحياءً من سوء ما بشّر من الأنثى وقبحه عنده ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ يعني: يميل نفسه، ويدبّر في أمر البنت المولودة له، أيمسكه

(١) سورة النحل: ٥٨ ـ ٥٩.

على ذلّ وهوان، أم يخفيه في التراب ويدفنه حيّاً، وهو الوأد الذي كان من عادة العرب [1].

وقال الإمام الصادق عليه السلام مشيراً إلى هذه الحالة في حديث له: «البنات حسنات والبنون نعمة، فالحسنات يثاب عليها والنعمة يسأل عنها»[2].

وقال عليه السلام: «انّه بُشّر النبي صلى الله عليه وآله بفاطمة عليها السلام فنظر في وجوه أصحابه فرأى الكراهية فيهم، فقال: ما لكم ريحانة أشمّها ورزقها على الله»[3].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: أتى رجل النبي صلى الله عليه وآله و عنده رجل فأخبره بمولود له، فتغير لون الرجل، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما لك؟

قال: خير.

قال: قل.

قال: خرجت و المرأة تمخض فأخبرت أنها ولدت جارية!.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله: الأرض تقلها والسماء تظلها والله يرزقها وهي ريحانة تشمها»[4].

ومن الجاهليين من كان يقتل البنات خشية الإملاق كما قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾[5] ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[6] ولم يكن هذا مقتصراً على البنات وإنّما كان الغالب أن يحصل ذلك مع البنات وأحياناً يشمل حتّى الأولاد.

---

(١) مجمع البيان ج٦ ص١٦٨.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٤٨١ باب فضل الأولاد ح٤٦٩٢.
(٣) ثواب الأعمال: ص٢٠٢ ثواب أبي البنات.
(٤) ثواب الأعمال: ص٢٠٢ ثواب أبي البنات.
(٥) سورة الإسراء: ٣١.
(٦) سورة الأنعام: ١٥١.

أمّا مسألة حرمان المرأة من الإرث عند بعض العرب، فهذا أمر كان شائعا في الجاهلية، وبقي عند بعض الجاهليين حتّى زماننا وقد رأيناه في بعض أهل القرى والأرياف.

بل أكثر من ذلك فبعضهم كان يجعل النساء إرثاً ويعتبرونها قسماً من تركة المتوفّى.

كما إنّ البعض كانوا يكرهون النساء على البغاء ليجلبن لهم المال، وما زال هذا الأمر جار حتّى عصرنا الراهن وقد رأيناه في بعض البلاد وان كان القانون والدين يمنعان ذلك، وقد أشارت الآية الشريفة إلى ذلك حيث قال عزّ من قائل: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾(١)، ولا يخفى أنّ كلمة الفتاة تشمل البنات والوصائف أيضا.

من جانب آخر كانت المرأة عند مختلف الشعوب الأوروبية والغربية أيضاً تعدّ من الحيوانات الأعاجم، وقد بلغ الأمر بهم أنّ بعض عقلائهم كان يناقش المسألة التالية وهي: هل أنّ المرأة حيوان من الحيوانات أم أنّها من الشيطان الرجيم وليست نوعاً من الإنسان؟

ويذكر أنه قد اكتشف في أمريكا وغيرها بعض المياه العميقة الممتلئة بعظام الفتيات حيث كانوا يلقون النساء في الماء، إمّا عند مجيء العيد أو غير ذلك كما هو مشروح في الكتب.

---

(١) سورة النور: ٣٣.
قيل: إنّ عبد الله بن أُبي كانت له ستّ جواري يكرههنّ على الكسب بالزنا، فلمّا نزل تحريم الزنا أتين رسول الله ﷺ فشكون إليه فنزلت الآية. مجمع البيان: ج٧ ص٢٤٦.
وجاء في تفسير علي بن إبراهيم القمي لهذه الآية: كانت العرب وقريش يشترون الإماء ويضعون عليهم الضريبة الثقيلة ويقولون: اذهبن وازنين واكتسبن، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أي يؤاخذهنّ الله تعالى بذلك إذا أُكرهن عليه. تفسير علي بن إبراهيم القمّي: ج٢ ص١٠٢.

وقد ذكر طبيب فرعون (سنوه) الذي وجدوا في مذكّراته الشيء الكثير من هذه الأُمور في العهد الفرعوني.

إلى غير ذلك ممّا هو كثير جدّاً.

إذن، فإهانة المرأة والتعامل معها بالعنف والقهر، لم يكن خاصّاً بالجاهلية وبفئة خاصّة كالعرب مثلا بل كان عامّا، وبقي ذلك إلى يومنا هذا في الغرب وما أشبه[١].

الإسلام واحترام المرأة

وعلى كلّ حال كان الأمر على إهانة المرأة وتضييع حقوقها

---

(١) وفي الغرب القريب كان رجال دينهم يمنعون المرأة من قراءة الكتاب المقدس، وكانت المرأة تحرم من التعليم في أوربا، وأول امرأة تقدمت لامتحان الثانوية في فرنسا عام ١٨٦١م فلم يقبل طلبها إلا بعد تدخل زوجة نابليون الثالث، والوزير رولان، وأول جامعة فتحت أبوابها للمرأة في ألمانيا عام ١٨٤٠م جامعة زيوريخ، وأن المرأة في نظرهم هي التي تحمل الخطيئة والمسؤولية الأبدية عن إخراج آدم من الجنة، وأن أهلية المرأة في المال والتصرفات لم تثبت كاملة في فرنسا وأوروبا إلا في القرن العشرين.

انظر: حقوق الإنسان في الإسلام: ص٢٢٦

وعند مراسم دفن الرئيس الفرنسي السابق ميتران ١٩٩٦م كشف النقاب عن وصيته، بأنه كانت له صديقة، وله منها بنت، وليس لهما من حقوق رسمية في حياته، واكتفى في وصيته بأن يتم الاجتماع بينه وبين زوجته عند قبره، وبنته تبلغ ٢١ سنة، ولم تتمتع بذرة مما كان له قبل رئاسة الجمهورية وبعدها، وكذا صديقته وخليلته.

المصدر: ص٢٢١ الهامش

وقال القسيس سان يونان يونافنتور لتلاميذه: إذا رأيتم امرأة فلا تظنوا أن أبصاركم قد وقعت على إنسان بل ولا على وحش وإنما الذي وقع بصركم عليه هو الشيطان نفسه والصوت الذي تسمعونه منها هو فحيح الثعبان.

انظر حقوق المرأة: ص١٠

وفي فرنسا سنة ٥٨٦م عقد مؤتمر للبحث في موضوع المرأة وهل تعد إنساناً أم غير إنسان. وبعد مناقشة طويلة وجدال عنيف تقرر أنها إنسان ولكنها إنسان خلق لمجرد خدمة الرجل. والمادة ٢١٧ من القانون الفرنسي قررت أن المرأة المتزوجة حتى لو كان زواجها قائماً على أساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها فإنه لا يجوز لها أن تهب ولا تنقل ملكيتها ولا ترهن ولا أن تستبدل بدون موافقة زوجها على ذلك كتابة. =

والتعامل معها بالعنف، حتّى جاء الإسلام وساوى بين الرجل والمرأة في

= وفي إنجلترا صدر أمر ملكي من هنري الثامن أنه يحظر على المرأة قراءة الكتاب المقدس. ولم يكن للمرأة حتى سنة ١٨٨٢م الحق في التملك.

حقوق المرأة: ص٨٣

ونقلت مجلة (النبأ) الصادرة عن المستقبل للثقافة والإعلام في بيروت في عددها ١٧-١٨ رجب وشعبان ١٤١٨هـ ص٣٧ تحت عنوان (المرأة البريطانية إذا حكت): في استفتاء شمل ٥٠٠ امرأة بريطانية تبيّن أن نصف البريطانيات اعترفن بعلاقات مع الرجال خارج حياتهن الزوجية، وغالبيتهن كشفن أنهن غير نادمات على ذلك، الاستفتاء الذي أعلن عنه في حفلة توزيع جوائز (امرأة العالم) في لندن شمل نساء يمارسن السياسة والصحافة والرياضة والتجارة والإدارة والطب والمحاماة والمقاولة والجمعيات الخيرية، وكشف الاستفتاء ان ٤٢/ اعترفن بالزنا وأعمارهن بين ٥١ و ٦٤ سنة، و ٣٩/ مطلقات، و٦٠/ لديهن أولاد، الثلثان منهن اعترفن بأنهن لسن أمهات جيدات لأسباب عدة منها: غياب الوقت الكافي للجلوس مع العائلة، والأنانية، والتعب في العمل الذي ينعكس سلبا على البيت، وفقدان الوقت لبحث قضايا مهمة مع الأزواج.

ويذكر (كريس دي ستووب) في كتابه (تجارة النساء في أوروبا): في الوقت الحالي تعد إيطاليا إحدى اكثر الدول المتأثرة بالدعارة، حيث تزرع العاهرات الإفريقيات والمخنثون البرازيليون الشوارع المحيطة بروما وتيران وبولون وفلورانس وبادم.. وهناك اكثر من تسعة آلاف عاهرة سوداء قدمن على الاخص من نيجيريا، لقد أتوا دون توقف منذ منتصف الثمانينات حينما انهار الاقتصاد النيجري، إن تسعين بالمائة من الفيز الممنوحة من السفارة الإيطالية بنيجيريا هي لفتيات تتراوح أعمارهن بين ١٨ و٣٠ عاما، كما تملك إيطاليا شبكة كبيرة من نوادي الجنس وراقصات التعري، ولكن العاهرات النيجيريات يمثلن الشكل الأسوأ: فقد كن يقتلن ويعذبن ويغتصبن كل أسبوع، كما اكتشفت جثة مومس مقتولة بطعنة سكين تحت جسر في لنزا، واكتشف قبر فيه جثث خمس نيجيريات في نابولي، كما اكتشف في تورين جثث أربع فتيات مخنوقات ومرميات في بئر.. وقامت المومسات البيض في ربيع ١٩٩٢م في بيللا شمال تورين باحتجاج ضد أسعار السوداوات المنخفضة، إن بعض العاهرات واقعات تحت نير الديون وإذا قمن بخرق الاتفاق فإنهن يتعرضن للضرب الوحشي أو الإهانات الشديدة بحسب الطريقة المتبعة، ولكن المافيا الإيطالية تدخل أيضا في هذه التجارة التي تقدر عائداتها بالمليارات، وحسب بعض التقديرات فان هذه التجارة تجلب ما يقارب مليار فرنك فرنسي سنويا، ان ممارسة الدعارة في إيطاليا لا تعد جريمة ولكنها بالطبع ممنوعة على المهاجرات غير النظاميات.

ويسترسل المؤلف في حديثه عن حياة المرأة الممسوخة والمعنّفة في بلدان الغرب واحداً واحداً.. ثم يقول:

وفي خلال الثمانينات عرفت تجارة الجنس في أوروبا تطورا وانتشارا واسعا، حيث أصبحت النساء موادا للتفاوض والاستثمار في صناعة بلا حدود، وهذا الأمر يسير بشكل دائري: =

جميع الأمور والأحكام إلا ما خرج بالدليل وكان الاستثناء لمصلحة المرأة نفسها.

قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾[1].

وفي آية أُخرى هناك دلالة جليّة على أصل المساواة ـ إلا ما خرج بالدليل ـ حيث قال سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[2].

وفي آية ثالثة ذكر الرجل والمرأة أحدهما إلى جنب الآخر، فقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[3].

كما إنّه تعالى ذكر كثيراً المؤمنين والمؤمنات أحدهما إلى جنب الآخر ولم يفرّق بينهما:

مثل قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[4].

= فالفتيات يذهبن من ناد ليلي إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى ومن بلد لآخر.
للتفصيل الأكثر راجع كتاب (تجارة النساء في أوروبا) لمؤلفه كريس دي ستووب.

(١) سورة النساء: ١.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٨.
قال شيخ المفسّرين الطبرسي رحمه الله في تفسير هذه الآية: وهذا من الكلمات العجيبة الجامعة للفوائد الجمّة. وإنّما أراد بذلك ما يرجع إلى حسن العشرة، وترك المضارّة، والتسوية في القسم والنفقة والكسوة، كما أنّ للزوج حقوقاً عليها مثل الطاعة التي أوجبها الله عليها له، وأن لا تُدخل فراشه غيره، وأن تحفظ ماءه فلا تحتال في إسقاطه. مجمع البيان: ج٢ ص١٠٠.

(٣) سورة الأحزاب: ٣٥.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٦.

وقوله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[3].

وقال تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾[5].

وقال تعالى: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا﴾[6].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾[7].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[8].

---

(١) سورة التوبة: ٧٢.
(٢) سورة النور: ١٢.
(٣) سورة الأحزاب: ٥٨.
(٤) سورة الأحزاب: ٧٣.
(٥) سورة محمد: ١٩.
(٦) سورة نوح: ٢٨.
(٧) سورة البروج: ١٠.
(٨) سورة الحديد: ١٢.

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة.

وقد سبق بعض الروايات الدالة على كرامة المرأة في الإسلام ولزوم احترامها ورعاية حقوقها.

المرأة وأهل الكتاب:

وقد كان بعض أهل الكتاب والمشركين يرى أنّ المرأة لا يصحّ أن يكون لها دين، حتّى إنّهم كانوا يحرّمون عليها قراءة الكتب المقدّسة، والبعض الآخر كان يعتقد أنّ المرأة لا تبلغ حتّى تصل إلى سنّ الأربعين بينما يبلغ الرجل قبل ذلك..

أصل المساواة في الإسلام:

حتّى جاء الإسلام وأقرّ أصل المساواة بينهما. إلا ما خرج بالدليل الشرعي. وبين أنّ الفارق الجوهري بينهما هو الأعمال الصالحة حيث قال سبحانه: **﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾**(١).

وفي قضيّة المباهلة جعل سبحانه وتعالى نساء المؤمنين كرجالهم ونساء غير المؤمنين كرجالهم حيث قال سبحانه: **﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾**(٢).

وفي آية أُخرى ذكر أنّ حال المرأة المنافقة حال المنافق، فجعل النساء مع الرجال في الخير والشرّ سواء(٣).

---

(١) سورة النساء: ١٢٤.

(٢) سورة آل عمران: ٦١.

(٣) هذه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ سورة التوبة: ٦٧. =

وفي سورة المسد قال تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾[1] حيث كانا كافرين.

تعذيب النساء وسلب حقوقهن:

وقد بلغت مسألة العنف مع النساء مرحلة بحيث انّ بعض الرجال كانوا يعذّبون النساء كي يتنازلنّ عن صداقهنّ ويحرّرن أنفسهنّ، وقد شاهدنا في بعض العشائر مثل ذلك الأمر والحال إنّ الله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾[2]، والعضل إنما يكون. كما في الآية. لأجل فاحشتهنّ لا لأجل الذهاب ببعض أموالهنّ.

وفي مجمع البيان في شأن نزول هذه الآية:

قيل: إنّ أبا قيس بن الأسلت، لمّا مات عن زوجته كبيشة بنت معن، ألقى ابنه محصن بن أبي قيس ثوبه عليها، فورث نكاحها، ثمّ تركها ولم يقربها، ولم ينفق عليها، فجاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا نبي الله لا أنا ورثت زوجي، ولا أنا تركت فأنكح! فنزلت الآية.

وقيل: كان أهل الجاهلية إذا مات الرجل جاء ابنه من غيرها، أو وليّه، فورث امرأته، كما يرث ماله، وألقى عليها ثوباً، فإن شاء تزوّجها بالصداق الأوّل، وإن شاء زوّجها غيره، وأخذ صداقها، فنهوا عن ذلك.

= وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ سورة التوبة: ٦٨. وقوله: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ سورة الأحزاب: ٧٣. وقوله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ سورة الفتح: ٦.

(١) سورة المسد: ١ ـ ٥.

(٢) سورة النساء: ١٩.

وقيل: نزلت في الرجل تكون تحته امرأة، يكره صحبتها، ولها عليه مهر، فيطول عليها، ويضارّها لتفتدي بالمهر، فنهوا عن ذلك.

وقيل: نزلت في الرجل يحبس المرأة عنده، لا حاجة له إليها، وينتظر موتها حتّى يرثها [١].

وقد كان بعض الرجال في الجاهلية إذا أراد استبدال زوجته التي سأمها ولا يرغب فيها قذفها بالفحشاء حتّى تُرغم وتتنازل عن صداقها ويكون له عذر أمام المجتمع في طلاقها وتركها، وإلى ذلك يشير سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[٢].

الإسلام وحقوق المرأة:

وقد كانت بعض المجتمعات تحتقر المرأة فلا تعتبرها أهلا للاشتراك مع الرجال في النشاط، وهذا موجود إلى هذا اليوم حتى بين بعض المسلمين على الرغم من أنّ الإسلام أثبت للمرأة حقّها في ممارسة نشاطها ودورها مشروطا بالعفة والكرامة، في شتّى المجالات سواء أكان في المجال الاجتماعي أم الاقتصادي، بل حتّى في المجال السياسي كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[٣].

قال الطبرسي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: أي بعضهم أنصار بعض، يلزم كلّ واحد منهم نصرة صاحبه وموالاته.

---

(١) تفسير مجمع البيان: ج٣ ص٤٦ ـ ٤٧.
(٢) سورة النساء: ٢٠.
(٣) سورة التوبة: ٧١.

ثمّ قال: وفي الآية دلالة على أنّ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من فروض الأعيان، لأنّه جعلهما من صفات جميع المؤمنين، ولم يخصّ قوماً منهم دون قوم[1].

ولعلّ خير شاهد على أنّ للمرأة حقّاً في أن تمارس دورها ونشاطها السياسي هو أنّ الرسول ﷺ أمر النساء بالبيعة له، وقد أشار القرآن إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2].

قال الإمام الصادق عليه السلام في كيفية بيعة النساء لرسول الله ﷺ لسعدان بن مسلم: أتدري كيف بايع رسول الله ﷺ النساء؟

قلت: الله أعلم وابن رسوله.

قال: جمعهن حوله ثمّ دعا بتور برام فصبّ فيه ماءً نضوحاً ثمّ غمس يده فيه[3].

كما أمر رسول الله ﷺ النساء بالبيعة للإمام علي عليه السلام بعد نصبه خليفة له في يوم الغدير.

وعلى أي حال، ففي القرآن الحكيم وفي آيات متعدّدة جعل المرأة كالرجل وساوى بينهما، فمثلا قال سبحانه: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[4]. وقال سبحانه: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[5].

---

(١) مجمع البيان: ج٥ ص٨٧ ـ ٨٨.
(٢) سورة الممتحنة: ١٢.
(٣) تفسير نور الثقلين: ج٧ ص١٢.
(٤) سورة البقرة: ١٨٧.
(٥) سورة النساء: ١٩.

بل جعل في بعض الروايات خير الناس من كان خيراً لنسائه، كما قال رسول الله ﷺ: «ألا خيركم خيركم لنسائه»[1].

وقال ﷺ: «ما أكرم النساء إلاّ كريم ولا أهانهنّ إلاّ لئيم».

وفي حجّة الوداع قال ﷺ: «أمّا بعد أيّها الناس فإنّ لكم على نسائكم حقّاً ولهنّ عليكم حقّاً ... واستوصوا بالنساء خيراً فإنهنّ عندكم عوان[2] وإنّكم إنّما أخذتموهنّ بأمانة الله»[3].

من جانب آخر فانّ السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام قدوة النساء وسيّدتهنّ لمّا رأت أنّ القوم راحوا يبتعدون عما أمر به الرسول ﷺ انبرت لهم واتخذت موقفها السياسي الحكيم، فخطبت خطبتها المفصّلة المشهورة على تفصيل ذكرناه في كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام).

نعم إنّ ظاهر قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[4]، هو أنّ من يكون أتقى من الآخر هو خير من الآخر سواء أكان رجلا أم امرأة، فإذا فرض أنّ هناك أخاً وأُختاً وكانت الأُخت أتقى من الأخ فهي بمنظار الشارع المقدّس أفضل من الأخ، وهكذا بين الزوج والزوجة وما أشبه ذلك.

قال الشيخ الطبرسي رحمه الله في تفسير الآية: والمعنى أنّكم متساوون في النسب، لأنّ كلّكم يرجع في النسب إلى آدم وحوّاء[5].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٧١ ب٨٨ ح٢٥٣٤٠.
(٢) العوان: جمع عانية، وهي الأسيرة.
(٣) السيرة النبوية، لابن هشام: ج٣ ص١٥١.
(٤) سورة الحجرات: ١٣.
(٥) مجمع البيان: ج٩ ص٢٢٩.

وعن ابن عبّاس أنّ النبي ﷺ قال: «إنّما أنتم من رجل وامرأة كجمام الصاع، ليس لأحد على أحد فضل إلاّ بالتقوى»[1].

وفي حديث آخر قال ﷺ: «كلكم بنو آدم طف الصاع إلا من أكرمه الله بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[2].

بل يستفاد من بعض الروايات مدى تأكيد الإسلام على محبّة النساء وإلى ذلك يشير رسول الله ﷺ في حديثه قائلا: «حبّب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعل قرّة عيني في الصلاة»[3].

فانّ الطيب يقوّي الأعصاب كما ثبت طبّياً وينشّط الإنسان لمختلف الأعمال، وذكر النساء تنبيهاً بلزوم الاهتمام بشأنهنّ وإخراجهنّ من تلك الحقارات التي كانت في الجاهلية. وأمّا الصلاة فهي ارتباط بين الإنسان وبين الله عز وجل.

وفي حديث مذكور في أُصول الكافي[4] وغيره إنّه ﷺ قال: «كلّما ازداد العبد إيماناً كلّما ازداد حبّاً للنساء».

إلى غيرها من الآيات والروايات التي لو جمعت لكانت كتاباً ضخماً.

لماذا بعض الاختلاف؟

ولسائل يسأل فيقول: إذا لم يكن هناك أفضليّة للرجل على المرأة فلماذا بعض الاختلاف بينهما؟

---

(١) مجمع البيان: ج٩ ص٢٢٩.
(٢) مستدرك الوسائل: ج١١ ص٢٦٧ ب٢٠ ح١٢٩٦٣.
(٣) الخصال: ج١ ص١٠٨ باب الثلاثة ح٢١٨ حبب إلى النبي في الدنيا ثلاث.
(٤) راجع الكافي: ج٥ ص٣٢٠ باب حب النساء ح ٢. وفيه: (عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما أظن رجلاً يزداد في الإيمان خيرا إلا ازداد حبا للنساء).

الجواب: إنّ ذلك من أجل إدارة الحياة على أكمل وجه، فالمرأة زيدت في عاطفتها والرجل زيد في عقله[1].

فالمرأة تحتاج في التربية وإدارة الشؤون الزوجية وكيان الأسرة وما أشبه إلى العاطفة، وهي لا تجتمع عادة مع زيادة العقل بخلاف الرجل الذي يحتاج في إدارته إلى زيادة العقل.

أمّا ما ذكر فيها من نقص العقل:

فيراد به الأقلّية لا النقص في مقابل الكمال، كما يقال نقص السيارة الصغيرة عن بعض عجلات السيارة الكبيرة، فإنه الأقلية لا النقص، بل لوكانت لها نفس العجلات لكان نقصاً كما هو واضح،

هذا وقد قال تعالى بالنسبة إلى جميع مخلوقاته، رجالاً ونساءً وغيرهما: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۢ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍۢ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[2].

وقد كرّرت الآية ذلك للتأكيد على عدم النقص في شيء من مخلوقات الله سبحانه حيث إنّه أعطى الله عز وجل كلّ شيء خلقه ثمّ هداه.

ولعلّ هذا هو المراد بنقص الإيمان والحظ والعقل في كلام الأمير عليه السلام حيث إنّها لو كانت كالرجل كان النقص حقيقيّاً فيهما.

أمّا إنّها لا تُعطى بقدر الرجل في الإرث غالباً وفي الدية كذلك، فهذا يتلائم مع الأُمور الاقتصادية الجارية إلى عصرنا الراهن بل حتّى الذين يرون التساوي في كلّ شيء بينهما فانّهم يقدّمون الرجل على المرأة

(١) لعلّ هذا يستفاد من الحديث التالي: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عقول النساء في جمالهنّ، وجمال الرجال في عقولهم . بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٢٤ ح٣.

(٢) سورة الملك: ٣ ـ ٤.

في الأُمور الاقتصادية، فليس الأمر بملاحظة أصل الإنسانية والكرامة وما أشبه، إذ أنّهما في أصل الإنسانية والكرامة لا يختلفان، بل ذلك من باب القوة الاقتصادية.

هذا بالإضافة إلى أنّ الإمام علي عليه السلام في كلامه: «نواقص العقول والإيمان والحظوظ»[1] إنّما أشار إلى واقعة خاصّة في تنقيص المرأة المعهودة، وليس المقصود به كل النساء، حيث إنّ كلامه هذا كان بعد فراغه من حرب الجمل[2].

وهذا شأن الكبار ونوع من البلاغة، حيث إنّهم لا يذكرون الشخص غالباً إلاّ بلفظ الجمع أو يذكرون أشياء عامّة، مثل قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾[3]، والحال أنّ المراد به ابن مسعود كما ذكره بعض المفسّرين[4].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٠ ، ومن خطبة له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء وبيان نقصهن.

(٢) فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام بعد حرب الجمل في ذمّ النساء: معاشر الناس إن النساء نواقص الإيمان، نواقص الحظوظ، نواقص العقول، فأمّا نقصان إيمانهنّ فقعودهنّ عن الصلاة والصيام في أيّام حيضهنّ، وأمّا نقصان عقولهنّ فشهادة امرأتين كشهادة الرجل الواحد وأما نقصان حظوظهن فمواريثهن على الأنصاف من مواريث الرجال، فاتّقوا شرار النساء وكونوا من خيارهنّ على حذر، ولا تطيعوهنّ في المعروف حتّى لا يطمعن في المنكر.
وقال ابن أبي الحديد في شرح هذه الكلمة: «ولا تطيعوهنّ في المعروف» ليس بنهي عن فعل المعروف، وإنّما هو نهي عن طاعتهنّ، أي لا تفعلوه لأجل أمرهنّ لكم به، بل افعلوه لأنّه معروف . . . ثم قال ابن أبي الحديد: وهذا الفصل كلّه رمز إلى عائشة، ولا يختلف أصحابنا في أنّها أخطأت فيما فعلت ثمّ تابت وماتت تائبة. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد: ج٦ ص٢١٤.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٤) قال الطبرسي في مجمع البيان لدى ذكره لشأن نزول هذه الآيات: نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى، وذلك أنّ أبا سفيان قال يوم أُحد، حين أراد أن ينصرف: يا محمّد! موعد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى القابل إن شئت. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ذلك بيننا وبينك. فلمّا كان العام المقبل خرج أبو سفيان في أهل مكّة، حتّى نزل (مجنة) من ناحية (الظهران) =

فقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إنّ النساء نواقص الإيمان». كما في نهج البلاغة[1]. لا يؤخذ به على إطلاقه، بل هو مثل ما ورد في ذمّ أهل الكوفة أو البصرة أو ما أشبه ذلك، فهي قضايا وقتية، ولذا نجد له عليه السلام بالنسبة إلى الكوفة والبصرة مدحاً أيضاً في كلام آخر.

لا ذمّ للمرأة في الآيات:

أمّا ما يتصور من ذمّ المرأة في بعض الآيات فلا دلالة له على ذلك، كقوله سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[2].

فانّه ذمّ للرجل الذي يتبع الشهوات ويضع عقله وشأنه بما يرتبط

= ثمّ ألقى الله عليه الرعب. فبدا له، فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي، وقد قدم معتمراً، فقال له أبو سفيان: إنّي واعدت محمّداً وأصحابه أن نلتقي بموسم بدر الصغرى، وأنّ هذه عام جدب، ولا يصلحنا إلاّ عام نرعى فيه الشجر، ونشرب فيه اللبن، وقد بدا لي أن لا أخرج إليها، وأكره أن يخرج محمّد، ولا أخرج أنا، فيزيدهم ذلك جرأة. فألحق بالمدينة فثبّطهم ولك عندي عشرة من الإبل أضعها على يد سهيل بن عمرو.
فأتى نعيم المدينة، فوجد الناس يتجهّزون لميعاد أبي سفيان، فقال لهم: بئس الرأي رأيكم، أتوكم في دياركم وقراركم، فلم يفلت منكم إلاّ شريد، فتريدون أن تخرجوا، وقد جمعوا لكم عند الموسم، فوالله لا يفلت منكم أحد! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده، لأخرجنّ ولو وحدي! فأمّا الجبان فإنّه رجع، وأمّا الشجاع فإنّه تأهّب للقتال.
ثمّ قال الطبرسي في معنى الآية: وإنّما عبّر بلفظ الواحد عن الجميع في قوله: ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ لأمرين، أحدهما: انّه قد جاءهم من جهة الناس فأُقيم كلامه مقام كلامهم، وسمّي باسمهم، والآخر: انّه لتفخيم الشأن. مجمع البيان: ج٢ ص٤٤٩ ـ ٤٥٠.

(١) انظر نهج البلاغة: الخطبة٨٠، ومن خطبة له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل في ذم النساء وبيان نقصهن.

(٢) سورة آل عمران: ١٤ ـ ١٥.

بالنساء من الأمور الشهوية، وليس ذماً للنساء كما لا يكون ذماً للبنين وما أشبه.

وإلاّ فالمرأة كالرجل في كلّ شيء سوى في بعض المستثنيات، كما استثنى الرجل عنها أيضاً في أماكن متعدّدة، مثل شؤون القتال فإنها ريحانة وليست بقهرمانة كما ورد في الحديث، ولذا قالوا:

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جرّ الذيول

واستثني بعض ما يرتبط بشأن المال لإدارة العائلة حيث لا يمكن أن يكون للعائلة مديران رجل وامرأة معاً مع رعاية أنّه من اللازم إعطاء الإدارة لأحدهما وهو يستشير الآخر،ولا يخفى أنّ الرجل في الإدارة أقوى أخذاً وعطاءً، كما أنّ المرأة بالعاطفة أقوى إظهاراً وإدارة.

وإلى ما ذكر من المعنى يشير رسول الله ﷺ في حديث له فيقول: «أوّل ما عصى الله بستّ خصال: حبّ الدنيا، وحبّ الرئاسة، وحبّ الطعام، وحبّ النساء، وحبّ النوم ، وحبّ الراحة»(١).

فإنه ذم للرجل الذي يتبع الشهوات، لا ذم للنساء.

وقد نهى الإسلام الرجل من الإفراط في حب النساء كما نهاه من التفريط فيهنّ، حيث قال رسول الله ﷺ: «النكاح سنّتي فمن رغب عن سنّتي فليس منّي»(٢).

وقال ﷺ: «من ترك بنته فزنت يكون الإثم عليه».

وقال ﷺ: «ركعتان يصلّيهما متزوّج أفضل من رجل أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره»(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٢٥ ـ ٢٢٦ ب٢ ح١٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص١٥٣ ب١ ح١٦٣٤٧.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٩ ب٢ ح٢٤٩١٤.

وقال ﷺ: «ركعتان يصلّيهما متزوّج أفضل من سبعين ركعة يصلّيها أعزب»[1].

ولا يخفى أنّ العزب يشمل الرجل والمرأة معاً.

وقد زوّج رسول الله ﷺ بنته المفضّلة سيّدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ولم يتجاوز عمرها تسع سنوات لا لتكاسل عن نفقتها أو غير ذلك، وإنّما ليعلّم المسلمين كيف يتعاملون مع بناتهم.

ثم إنّ تحديد الإسلام للمرأة في بعض الأمور، كلزوم الحجاب وما أشبه، ففيه مصلحة المرأة نفسها وللرجل أيضاً، أمّا لنفسها فحفظاً لكرمتها وشرفها وعزها وحتّى لا تصير ألعوبة رخيصة كما جعلها الغرب، وأمّا المنفعة للرجل فحتّى لا تستضعف الرجال الضعاف فيكونوا ألعوبة الشهوات، ولذا قال سبحانه: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[2]. وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[3].

الرسول (ص) يسلّم على النساء أيضاً:

ومما يدل على مدى اهتمام رسول الله ﷺ بالمرأة، ما ورد في الحديث من أنّه ﷺ كان يسلّم على الرجال والنساء، الكبار والصغار.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ يسلّم على النساء ويرددن عليه»[4].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٢٠ ص١٨ ب٢ ح٢٤٩١٣.
(٢) سورة النور: ٣١.
(٣) سورة الأحزاب: ٣٢.
(٤) الكافي: ج٥ ص٥٣٥ باب التسليم على النساء ح٣.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام - كما في أُصول الكافي - فإنّه عليه السلام كان يسلّم على النساء وكان يكره أن يسلم على الشابة منهن، فسئل عن ذلك فأجاب: «إنّي أتخوّف أن يعجبني صوتها ويدخل عليّ أكثر ممّا أطلب من الأجر»[1].

وقد أراد بذلك تعليم المسلمين حتّى لا يقعوا في الشهوات المحرّمة.

تعدد الأزواج:

وقد يقال: إذا كانت المرأة كالرجل فلماذا حقّ للرجل بالتعدّدية دونها؟

الجواب: لو لم تكن تعدّدية لبقين النساء عوانس كما هو المشاهد الآن، ولم يشاهد أنّ رجلا تزوّج امرأة الغير وهي متزوجة، وإنّما ينكح امرأة خلية، علماً أنّ الرجل بطبعه يميل إلى النساء ويرغب فيهنّ.

نعم سبق الإشارة إلى أنّ الفرق بين الرجل والمرأة إنّما هو من جهة العلل الخارجية مثل البنية الجسديّة وما أشبه، ولا فرق في الكرامة والإنسانية، ولذا فرض القتال على الرجال دونهن، وحلل التعدد للرجل دونها وذلك من جهة الكثرة و ما أشبه، حيث إنّ النساء أكثر من الرجال، قال سبحانه: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾[2]، والزيادة عليها في باب الإرث والدية للحصّة الاقتصادية وما أشبه لكونه مديراً ولجانب خشونته العملية، ولذا يكون المال والنفقة عليه لا عليها.

أما الأصل في الإسلام فهو قوله سبحانه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي

---

(١) الكافي: ج٥ ص٥٣٥ باب التسليم على النساء ح٣.
روى الشيخ الصدوق رحمه الله هذا الحديث مرسلا في من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٤٦٩ وقال: إنّما قال عليه السلام ذلك لغيره وان عبّر عن نفسه، وأراد بذلك أيضاً من التخوّف من أن يظنّ به ظانّ أنّه عليه السلام يعجبه صوتها فيكفر.

(٢) سورة النساء: ٣.

عَلَيْهِنَّ﴾[1] والخروج عن هذا التساوي لدليل خاص ولأمر عارض خلقةً وما أشبه ذلك.

وقد ذكر القرآن الكريم علّة أن تكون إثنتان في شهادة المرأة في قوله سبحانه: ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾[2].

بينما نشاهد أنّ في الوصيّة تقبل شهادة المرأة الواحدة والمرأتين والثلاث والأربع على تفصيل ذكره الفقهاء وذلك تبعاً للروايات.

كما أن هناك أمور لا تقبل فيها إلا شهادة المرأة على تفصيل مذكور في الفقه.

مشاورة النساء:

وأمّا النهي عن مشاورة النساء فلأنّ الغالب عليهنّ إدخال العواطف في الأُمور، ولهذا نجد أنّ الغربيين والشرقيين رغم إصرارهم على التساوي في كلّ الشؤون، غالباً ما لا تصل المرأة في بلادهم إلى مثل رئاسة الجمهورية وما أشبه، ففي الاتّحاد السوفيتي مثلا منذ أن صار الحكم بيد الشيوعيين الذين لا يؤمنون بالله ويقولون بالتساوي المطلق بين الرجل والمرأة لم تصل المرأة إلى رئاسة الحكم لا في عهد لينين ولا ستالين ولا خرشوف ولا غيرهم إلى اليوم، حيث يمضي عليهم أكثر من ثمانين سنة، وفي الغرب كذلك، فالرئاسة تكون في أمريكا وأوروبا وغيرهما للرجل بالانتخابات وإن وصلت المرأة أحياناً إلى وزارة أو ما أشبه.

والمرأة لمّا كانت عواطفها غالباً ما تتغلب على عقلها وأنّها تتأثّر كثيراً بالظواهر بدون التعمّق لم يحسّن الإسلام التشاور معهنّ، وقد بيّن

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

الإمام الصادق عليه السلام العلّة في ذلك حيث قال: «إيّاكم ومشاورة النساء فانّ فيهنّ الضعف والوهن والعجز»[1] والكل يعلم أنّ الحكم غالباً للأغلب لا مطلقاً، وإلاّ فقوله سبحانه: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2] يشمل المشورة في أُمور الرجال مع الرجال وفي أُمور النساء مع النساء، بل وفي أُمور الرجال المشورة مع النساء، وفي أُمور النساء المشورة مع الرجال، ولهذا شاور رسول الله صلى الله عليه وآله النساء مرّات كما في قصّة إرادته الزواج بعد خديجة حيث شاور بعض النساء وأخذ بقولهنّ.

وقد قال الإمام علي عليه السلام كما في رواية في البحار: «إياك ومشاورة النساء إلاّ من جرّبت بكمال عقل»[3].

كذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وآله أُمّ سلمة مكرّراً كما ذكرناه في بعض كتبنا، ومنها ما ورد في صلح الحديبية حيث اقترحت أُمّ سلمة على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما أمر النبي صلى الله عليه وآله الناس بالنحر والتقصير والإحلال، فلم يستجيبوا.

قالت أُمّ سلمة: يا رسول الله قم وانحر قربانك وسيتّبعك الناس.

فتناول الرسول صلى الله عليه وآله السكّين ونحر هديه وحين رأى الناس ما يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله أقبلوا على هديهم ينحرونها[4].

وكذلك ورد في قصّة حلق رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه.

---

(١) الكافي: ج٥ ص٥١٧ باب في ترك طاعتهن ح٨.

(٢) سورة الشورى: ٣٨.

(٣) بحار الأنوار: ج١٠٠ ص٢٥٣ ب٤ ح٥٦. ومن هذا الحديث يمكن استفادة السر في عدم مشورتهن حيث إنّ الغالب في النساء هو الميل إلى العاطفة والحكم بها، لذلك يشير أمير المؤمنين عليه السلام باستشارة من جرّبت بكمال العقل.

(٤) انظر بحار الأنوار: ج٢٠ ص٣٥٣ ب٢٠ ح٤. وقد ذكر ذلك الإمام المؤلّف في كتابه لأوّل مرّة في تاريخ العالم: ج٢ ص١٧.

النساء والعمل الصالح:

ثمّ لا يخفى إنّ الكرامة عند الله بالتقوى والعمل الصالح وهذا لا فرق فيه بين الذكر والأُنثى، فقد صرّح القرآن الكريم ورسول الله ﷺ والأئمّة الأطهار عليهم السلام أنّ ذلك لا يرتبط بجنس الفرد ذكراً كان أو أُنثى أو خنثى ـ إذا قيل إنّه قسم ثالث ـ بل وكذلك بالنسبة إلى الاستنساخ البشري كما حدث في هذا الزمان . وقد سمعت أنّ العلماء في العديد من البلدان آخذة في تحقيقه[1]. .

والدليل على ما ذكر قوله سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[2].

وفي آية أُخرى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

إلى غير ذلك.

كرامة المرأة في الإسلام:

ومن ضمن الأُمور التي يستدلّ بها على قداسة المرأة في الإسلام ومدى قابليتها لنيل المراتب العليا عند الله تعالى ـ مضافاً إلى ما مر سابقاً ـ هو ما أشارت إليه بعض الآيات المباركة من بيان قداسة بعض النساء كأُمّ موسى عليه السلام حيث أوحى الله إليها كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[4].

---

(١) كما قالوا في استراليا.

(٢) سورة النحل: ٩٧.

(٣) سورة غافر: ٤٠.

(٤) سورة القصص: ٧.

وكذلك بالنسبة إلى أمّ عيسى (عليهما الصلاة والسلام) كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[2].

وقال سبحانه في قصّة آسية امرأة فرعون: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[3].

وقد وصلت خديجة الكبرى عليها السلام إلى قمة من مراتب الكمال كما في الروايات، فإن جبرائيل كان يبلغها تحية خاصة من الله عز وجل.

أما ابنتها الصدّيقة فاطمة الزهراء عليها السلام فهي سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، وقد وصلت مرتبة عظيمة من الفضل والشرف فهي دون رسول الله صلى الله عليه وآله وفوق الأئمّة الطاهرين عليهم السلام ما عدا زوجها أمير المؤمنين عليه السلام الذي يعادلها في المرتبة، حيث جاء في الأحاديث. كما في (معالم الزلفى). أنّها (صلوات الله عليها) كانت تعادل أمير المؤمنين علياً عليه السلام، وفي بعض الروايات أنّها حجّة على الأئمّة من أولادها عليهم السلام[4].

---

(١) سورة آل عمران: ٤٢.

(٢) سورة آل عمران: ٤٥ ـ ٤٧.

(٣) سورة التحريم: ١١.

(٤) راجع كتاب (من فقه الزهراء عليها السلام)، وكتاب (فاطمة الزهراء افضل أسوة للنساء) للإمام الشيرازي رحمه الله.

فصل

ماذا عن العنف؟

من أسباب تأخر المسلمين

عندما يتأمّل الإنسان في تاريخ الإسلام العزيز يجد أنّ معظم المصائب والرازيا التي عانى منها المسلمون على امتداد التاريخ هي ناجمة عن سياسة العنف التي كان يستخدمها الحكام خلافاً لسيرة رسول الله ﷺ والإمام أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة الطاهرين عليهم السلام ، وعلى عكس ما ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

فالحكام المستبدون الذين استولوا على المسلمين من دون شرعية لم يلتزموا بتعاليم الإسلام الداعية إلى اللين واللاعنف وكانوا من وراء ضعف المسلمين على تفصيل ذكرناه في بعض كتبنا(١).

ومن هذا الباب لا بأس ببيان بعض المواقف العنيفة التي سوّد بها بعض الحكام وغيرهم صفحات التاريخ البيضاء، ليعرف براءة الإسلام منها، والتي سببت تأخّر حضارة الإسلام التي طالما دعمها رسول الإنسانية ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام بجهودهم المباركة:

في عهد الرسول(ص):

على الرغم من أنّ الرسول الأعظم ﷺ عكف على تربية المسلمين على اللين واللاعنف وبذل كلّ ما بوسعه من أجل إخراجهم

---

(١) راجع كتاب (من أسباب ضعف المسلمين) للإمام المؤلف (قدس سره الشريف).

من نزعات الجاهلية الأُولى، إلاّ أنّ البعض منهم لا سيما المنافقين، لم تؤثّر فيه تلك التربية حيث بقيت أنفسهم تميل إلى طبائعها القديمة التي منها العنف والبطش.

ولعلّ خير شاهد على ذلك هو ما نقله العديد من المؤرخين حيث قالوا: إنّ رسول الله ﷺ بعد فتح مكّة أخذ يرسل البعض من المسلمين فيما حول مكّة ليدعوا إلى الله عز وجل ولم يأمرهم بقتال...

وممّن بعثه رسول الله ﷺ إلى بني جذيمة بن عامر هو خالد بن الوليد، وقد كانوا أصابوا في الجاهلية من بني المغيرة نسوة، وقتلوا عمّ خالد فاستقبلوه وعليهم السلاح، وقالوا: يا خالد إنّا لم نأخذ السلاح على الله وعلى رسوله، ونحن مسلمون فانظر فإن كان بعثك رسول الله ﷺ ساعياً فهذه إبلنا وغنمنا فاغد عليها.

فقال: ضعوا السلاح.

فقالوا: إنّا نخاف منك أن تأخذنا بإحنة الجاهلية، وقد أماتها الله ورسوله ﷺ.

فانصرف عنهم بمن معه فنزلوا قريباً، ثمّ شنّ عليهم الخيل فقتل وأسر منهم رجالا، ثمّ قال: ليقتل كلّ رجل منكم أسيره فقتلوا الأسرى!

وجاء رسولهم إلى رسول الله ﷺ فأخبره بما فعل خالد بهم.

فرفع رسول الله ﷺ يده إلى السماء وقال: «اللّهمّ إنّي أبرأ إليك ممّا فعل خالد» وبكى ﷺ ثمّ دعا عليّاً عليه السلام فقال: «اخرج إليهم وانظر في أمرهم»، وأعطاه سفطاً من ذهب، ففعل ما أمره عليه السلام وأرضاهم.

وقد روي أنّ رسول الله ﷺ لمّا بعث إليهم عليّاً عليه السلام أمره أن

ينظر في أمرهم فودّى لهم النساء والأموال حتّى أنّه ليدي ميلغة[1] الكلب، ففضل معه من المال فضلة، فقال لهم الإمام علي عليه السلام: «هل بقي لكم مال أو دم لم يؤدّ»؟

قالوا: لا.

فقال عليه السلام: «إنّي أُعطيكم هذه البقيّة احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله».

ففعل ثمّ رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره. فقال صلى الله عليه وآله: «أصبت وأحسنت»[2].

أعظم رزيّة بعد الرسول (ص):

وبعد أن ارتحل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من بين المسلمين وبينما كان أهل بيت الرسالة عليهم السلام مشغولين في تجهيز جثمان الرسول الطاهر صلى الله عليه وآله تآمر بعض المسلمين في سقيفة بني ساعدة ليتقمصوا الخلافة بالعنف.

وريثما تسلّموا مقاليد الخلافة شرعوا بمزاولة سياسة العنف والبطش إزاء آل الرسول صلى الله عليه وآله الذين لم يقرّوا أحقّيتهم في الخلافة، وكذلك مع المسلمين الذين قالوا إن الإمام علي عليه السلام هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بالتعيين الإلهي[3].

الحوزة الخشناء:

وهكذا استمرت الحوزة الخشناء إلى هذا اليوم، ومن أفضع صور

---

(١) الميلغ والميلغة: الإناء يلغ فيه الكلب أو يسقى فيه.

(٢) بحار الأنوار: ج٢١ ص١٤٠-١٤١ ب٢٧ ح٢ و٣.

(٣) انظر بحار الأنوار: ج٥٣ ص١٨ ـ ١٩ ب٢٨، وكتاب الإحتجاج، في احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام ج١ ص٩٢.

العنف ما ارتكبوه ضد الإمام الحسين عليه السلام وأولاده ونسائه في كربلاء حيث قتلوهم عن آخرهم عطاشى مظلومين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة وهو يصف سياسة بعض من تقمص الخلافة قائلا: فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها [1].

يزيد ومآسي التاريخ:

بعد أن آل أمر الخلافة إلى يزيد بن معاوية تجلّت مساوئ العنف والطغيان في أوضح مصاديقها وأبشع معانيها، إذ أنّ التاريخ على مرّ العصور لم يشهد وقائع مؤلمة تمضّ القلوب كالوقائع الدامية التي ارتكبها يزيد بن معاوية في يوم عاشوراء..

ففي بداية حكمه عمد إلى قتل سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام بتلك الصورة المأساوية المقرحة للعيون فضلا عن سبيه لعياله وذرّيته في شتّى البلاد الإسلامية.

ولم يكتف هذا الطاغية العنيف بقتل أهل البيت عليهم السلام وسفك

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٣. يقول ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٦ ص٣٢٧: (كان عمر شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العبوس) وقال أيضاً: في ج٢٠ ص٢١٧: (وكان سريعاً إلى المساءة كثير الجبه والشتم والسبّ).
وقال ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: ج٣ ص٥٨ عن زيد بن حارثة قال: إنّ أبا بكر حين حضره الموت أرسل إلى عمر يستخلفه فقال الناس: تستخلف علينا فظّاً غليظاً فلو قد ولّينا لكان أفظّ وأغلظ، فما تقول لربّك إذا لقيته وقد استخلفت علينا عمر ؟ فقال أبو بكر: أبربّي تخوّفني؟ أقول: استخلفت عليهم خير أهلك..
وقال ابن الأثير أيضاً في وصفه: خطب أم أبان بنت عتبة بن ربيعة فكرهته وقالت: يغلق بابه، ويمنع خيره، ويدخل عابساً، ويخرج عابساً . انظر الكامل في التاريخ: ج٣ ص٥٥.
وقال ابن الأثير أيضاً: إنه خطب أمّ كلثوم ابنة أبي بكر إلى عائشة، فقالت أمّ كلثوم: لا حاجة فيه، انّه خشن العيش، شديد على النساء . الكامل في التاريخ: ج٣ ص٥٤.

دمائهم الطاهرة حتّى أباح مدينة الرسول الأعظم ﷺ لجيشه ثلاثة أيّام، وفي غضون هذه الأيّام الثلاثة عمد جيشه العنيف إلى التنكيل بأهل المدينة والنيل منهم، فقد نقل في التاريخ أنّ عدد القتلى في واقعة الحَرّة فقط من أبناء الأنصار والمهاجرين بلغ ألفاً وسبعمائة ومن سائر الناس عشرة آلاف سوى النساء والأطفال.

وممّا نقل في هذه الواقعة المؤلمة انّه: دخل رجل من جند مسلم ابن عقبة على امرأة نفساء من الأنصار ومعها صبي لها، فقال: هل من مال؟

فقالت: لا والله ما تركوا لنا شيئاً.

فقال: والله لتخرجنّ إليّ شيئاً أو لأقتلنّك وصبيّك هذا.

فقالت له: ويحك انّه ولد ابن أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ.

فأخذ برجل الصبي والثدي في فمه فجذبه من حجرها وضرب به الحائط فانتشر دماغه على الأرض!.

عنف بني العبّاس:

وعندما تلاشت قدرة بني أُميّة وضعفت شوكتهم جرّاء تعاملهم العنيف مع الرعيّة خلافاً للقرآن الكريم والسنة المطهرة، نهض بنو العبّاس بأعباء الرئاسة وعمدوا إلى إدارة بلاد المسلمين وفق منهجيتهم البعيدة كلّ البعد عن سماحة الإسلام ومنهجيّته الرشيدة الداعية إلى اللين واللاعنف.

فلمّا خضع العباد لهم وبعد أن استتبّت الأوضاع راحوا يصبّون شتّى ضروب العذاب فوق رؤوس الرعيّة حتّى إن الناس أخذوا يترحّمون على عهد بني أُميّة.

نعم، فقد بالغ حكّام بني العبّاس في الاساءة إلى الناس والنيل منهم حتّى انّهم أصبحوا مضرباً للمثل في الظلم والعنف على مرّ العصور المختلفة.

فقد نقل أنّ هارون العباسي دخل عليه أحد المنجّمين وقال له: إنّي رأيت في المنام أنّك في هذه السنّة تموت!.

فاغتمّ هارون غمّاً كبيراً، وكان (جعفر البرمكي) حاضراً، فسأله هارون عن علاج الأمر؟

فقال جعفر: إنّ العلاج سهل وهو أن تسأل من هذا المنجّم انّه في أي وقت يموت هو؟

فكذّبه في دعواه بقتله، حتّى يظهر انّه يكذب أيضاً بالنسبة إلى تحديد حياتك.

فسأل هارون المنجّم: عن مدّة عمره هو؟

فقال المنجّم: عشر سنوات ويموت بعدها.

فأمر جعفر هارون أن يقتله الآن حتّى يظهر كذبه في عمره ممّا يلزم أن يظهر كذبه في عمر هارون أيضاً.

عندها أمر هارون الجلاّد أن يقطع رأسه فضرب عنق المنجّم في نفس المجلس.

ثمّ قال هارون لجعفر: قد فرّجت عنّي بهذا التقدير!.

ونقل أنّه كان للمتوكّل العبّاسي كيس مليء بالحيّات والعقارب كان يضعه دائماً قريباً منه. وكلّما أراد أن يضحك على الحاضرين كان يفتح رأس الكيس وينفضه في وسط المجلس الأمر الذي يجعل الوزراء وسائر الحاضرين في المجلس يهربون في كلّ اتّجاه، وأحياناً تصيبهم لدغات العقارب والحيّات.

وقد نقل (عبد الله البزار النيشابوري) قائلا: كانت لي صداقة وطيدة مع (حميد بن قحطبة) أحد الأُمراء في دولة (هارون العبّاسي)، قال: فدخلت عليه في شهر رمضان نهاراً وكان مشغولا بالأكل فلمّا سألته عن السبب؟

أخذته العبرة وشرع بالبكاء وانحدرت دموعه على خدّيه.

فقلت له: ما يبكيك يا أمير؟

قال: استدعاني هارون العبّاسي في إحدى الليالي، ولمّا حضرت رأيت عنده شمعة مشتعلة، وفي مقابله سيفاً مسلولا، فلمّا رآني سألني: كيف يكون ولاءك لأمير المؤمنين؟

قلت: فداه نفسي ومالي ولا قيمة لنفسي ومالي عند رضاه.

فتبسّم من كلامي وأذن لي بالرجوع.

فما أن وصلت إلى الدار إلاّ أتاني مبعوثه ثانية وقال لي: أمرني الخليفة بإحضارك ثانية.

فرجعت إليه مرّة أُخرى ..

وكرّر عليّ السؤال السابق ..

فأجبته: في سبيل الخليفة لا ثمن لنفسي ومالي وأولادي وديني (فداه نفسي ومالي وأولادي وديني).

فسرّه كلامي وضحك وقال لي: إذن خذ هذا السيف ونفّذ ما يأمرك هذا الحارس.

فذهبنا معاً إلى دار مغلقة بابها، ففتح الحارس الباب وكان في وسط الدار بئر وكان في الدار ستّون سجيناً وهم ما بين طاعن في السنّ

وشاب في عنفوان شبابه غبر شعث الشعور مكبّلين كلّهم كانوا علويين من أولاد وأحفاد الإمام علي عليه السلام وفاطمة عليها السلام فأمرني الحارس بقطع رؤوسهم. وكلّما قطعت رأس أحدهم رمى الحارس بجسده في البئر، وكان آخر من أردت قطع رأسه شيخاً طاعناً في السنّ، التفت إليّ وقال: قاتلك الله بم تجيب جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم القيامة إذا وردت عليه؟

آنذاك ارتعد جسمي من هذا الكلام، ولكن الحارس نظر إليّ بغضب، عند ذلك قطعت رأسه، وبذلك أكون قد قتلت ستّين علويّاً في يوم واحد، فبعد هذه الجريمة ما فائدة الصلاة والصيام، وأنا بلا شكّ من المخلّدين في النار.

وهكذا كانت خلافة العثمانيين مليئة بالظلم والجور والعنف ضد المسلمين وغيرهم، وقد أشرنا إلى ذلك في كتاب حول تاريخ الخلافة العثمانية[١].

العودة إلى الإسلام:

وفي الختام نؤكد على ضرورة اتخاذ سياسة السلم واللاعنف في جميع مجالات الحياة كما أمر الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام بذلك، وكما هو واضح في سيرتهم العطرة[٢].

وقد ذكرنا في الفقه بأنه لا يجوز فعل ما يوجب تشويه سمعة الإسلام أو المسلمين من أعمال العنف.

واللازم اتخاذ سياسة السلم واللاعنف في كافة مجالات الحياة،

(١) انظر كتاب (موجز عن الدولة العثمانية) و(تلخيص تاريخ الإمبراطورية العثمانية) للإمام الشيرازي (قدس سره الشريف).

(٢) للتفصيل انظر كتاب (الفقه: طريق النجاة) و(السبيل إلى إنهاض المسلمين) و(ممارسة التغيير لإنقاذ المسلمين) و(الفقه: القانون) للإمام الشيرازي (قدس سره الشريف).

مضافاً إلى تطبيق سائر القوانين الإسلامية والتي منها الأمة الواحدة، والأخوة الإسلامية، والحريات والشورى وما أشبه ليستعيد المسلمون بذلك عزهم وينقذوا العالم أيضاً من الظلمات إلى النور، وما ذلك على الله بعزيز.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

قم المقدّسة

محمّد الشيرازي

الفهرس

فصل

اللاعنف في سيرة الرسول (ص) وأهل بيته (ع)

فصل

أسباب العنف

فصل

اللاعنف في المجتمع

فصل

للاعنف السياسي

فصل

من معالم اللاعنف

فصل

اللاعنف والمرأة

فصل

ماذا عن العنف؟